ق والقرآن المجيد

مجلة شهرية
تصدر عن قسم
الشؤون الفكرية
والإعلام في
العتبة الكاظمية
المقدسة العدد
٣٧-٣٨ شهر
رمضان - شوال
١٤٣٧هـ
السنة الرابعة

من دعاء الإمام السجاد (عليه السلام):

فصلِّ على محمد وآله، واجعل القرآن وسيلة لنا إلى أشرف منازل الكرامة، وسُلّماً نَعرُجُ فيه إلى محلِّ السّلامة، وسَبَباً نُجزى به النجاة في عَرَصَة القيامة

العتبة الكاظمية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والإعلام

العدد ٣٧-٣٨ شهر رمضان - شوال
١٤٣٧هـ السنة الرابعة

www.aljawadain.org

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق
الوطنية ببغداد (١٨٤٧) لسنة ٢٠١٣م

٩

اقرأ في هذا العدد..

١٢	الإمام الكاظم عليه السلام وآثاره في تفسير القرآن الكريم
١٨	اكتشاف أقدم أجزاء معروفة من القرآن الكريم
٢٠	القارئ محمد فاروق أبو الخير
٢٤	ما قاله القرآن في علي عليه السلام
٢٨	المقدّس الأردبيلي
٣٠	كيف السبيل والمسير؟

رئيس التحرير
الشيخ عدي حاتم الكاظمي

سكرتير التحرير
رعد عبدالله التميمي

التدقيق اللغوي
مهدي جناح الكاظمي

السلامة الفكرية
د. الشيخ عماد الكاظمي

التصميم
عبدالله جاسم محمد

شجرة الوسطية

قال تعالى: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾

لو تأملنا هذهِ الآية المباركة قد نفهم منها، أن عظمة الإسلام وديـن الخاتـم ﷺ يوصـف بهذا الوصـف، ألا وهو (الوسـطية) في اعتدالـهِ وخطابـهِ للناس وخاصـةً كتاب الله المبين، فإننـا حين نتتبع منهجية الأديان السـابقة نجد أن هناك جانبين مهمين تعلقت بهما تلك الأديـان، وهمـا الروحانية الغيبيّـة والمادية، فبعـض منها ذهب إلى جانـب الروحانية الغيبيّة في جميع مفاصلـهِ وأركانهِ وأهمل الجانب المـاديَّ، وبعـض انغمر في جانب المادية البحتـة والتي تخرّج الفرد من روحانية الدين والتعلق بالغيب، فهذه الوسـطية التي تفتقدها باقي الأديـان موجودة في الإسـلام والخطـاب القرآني للفـرد والمجتمع، فـلا إفراط ولا تفريط فـي أحد الجانبين، بقـي أن نقول كلمة حق في شـأن الأديان السابقة على الإسلام وهي أن هذا الإفراط والتفريط في الجنبتيـن المادية والروحانية إنما جاء جـرّاء التحريف الذي وقع في تلك الشـرائع، ولم تكن هي بالأسـاس على هذا الحال والمنوال الذي نعيشـه اليوم، في حين أن شـريعة الإسلام بقيت محفوظة، لذا نجد أن حركة العِداء لهذا الدين الحنيف قائمة على قدم وساق في شَقِّ صفوفه ومحاولـة تحريفه، ولعل العجز عن تحريـف النصوص القرآنية هو الدافع الأسـاس الذي دفع بالحركات المعادية لمنهجية الإسلام، سلوك طريـق التحريف للعقول وبث روح التطرف فيهـا من ناحية المادية مرة ومرة من جهة الروحانية.

لذا نجد أن الكثير من المسلمين وعلى مرِّ العصور وقعوا في مصيدة الإفراط والتفريط، ولم يسـتطيعوا العودة إلى شـجرة الوسـطية التي أرادها الله ورسوله وأهل بيته سلام الله عليهم.

الشيخ عدي حاتم الكاظمي

السؤال عن أرحام الرسول صلى الله عليه وآله يوم القيامة

محمد عبد الحسين المالكي

مما أُثر تفسيره وتأويله من آي الذكر الحكيم بأهل بيت النبوة الطاهرين قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾[1]، فقد روي عن جماعة من المفسّرين تأويل الآية في أهل البيت عليهم السلام، منهم الحافظ الحسكاني الحنفي عن ابن عباس قال: (نزلت في رسول الله وأهل بيته، وذوي أرحامه، وذلك أن كلَّ سبب ونسب منقطع إلا سببه ونسبه)[2]، وقال السيوطي مثله وأضاف: وأخرج ابن عساكر عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (كلُّ نسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري)[3]، وعن الشوكاني أيضاً مثل ما روي وأضاف قائلاً: (أخرج أحمد عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول على المنبر: ما بال رجال يقولون إن رحم رسول الله موصولة في الدنيا والآخرة، وإني أيها الناس فرط لكم)[4]، وغير ذلك من المصادر الأخرى، (وقد استعير لفظ (الرحم) للقرابة والأقرباء بعلاقة الظرف والمظروف؛ لكون الأقرباء مشتركين في الخروج من رحم واحدة، وقد اعتنى القرآن الشريف بأمر الرحم كما اعتنى بأمر القوم والأمة، فإن الرحم مجتمع صغير كما أن القوم مجتمع كبير)[5]، والآية تأمر الناس بصلة الأرحام بصورة عامة، لما فيها من البرِّ ولما يترتب عليها من الأجر والثواب، وفي مقدمة الأرحام أرحام الرسول الأكرم والعترة الطاهرة، الذين أمر سبحانه باتباعهم والاقتداء بهديهم، لأننا مساءلون عن مودَّتهم وولايتهم في الآخرة، كما دلّت على ذلك كثير من الآيات والروايات السالفة الذكر في الأعداد السابقة، ففي تفسير القمي عن الإمام الرضا عليه السلام قال: (يُساءلون يوم القيامة عن التقوى هل اتقيتم؟، وعن الأرحام هل وصلتموها؟)[6] وعنه عليه السلام أيضاً قال: إن رحم آل محمد الأئمة لمعلَّقة بالعرش تقول: اللهم صِل من وصلني واقطع من قطعني، ثم هي جارية بعدها في أرحام المؤمنين)[7].

١- سورة النساء: الآية ١.
٢- شواهد التنزيل ١/ ١٧٤, ومثله في مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ١٩٥/٤.
٣- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ١٥/٥.
٤- فتح القدير للشوكاني ٥٢/٣.
٥- الميزان في تفسير القرآن للعلامة الطباطبائي ١٣٨/٤.
٦- تفسير القمي ١٣٠/١.
٧- تفسير نور الثقلين للشيخ الحويزي ٤٣٧/١.

السامري وعبادة العجل

﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]، قال الشيخ محمد جواد البلاغي: أربعون ليلة باعتبار مجموع العددين، الوعد الأول - وهو ثلاثون ليلة - والثاني، وهو إتمامها بعشر كما في سورة الأعراف[2]، ثم ملاحظة أخرى: وهي التعبير بالليالي دون الأيّام جريا على عادة العرب بالحساب بالليالي؛ لأن التاريخ عندهم نجومي يعتمد على رؤية الهلال، والأهلَّة تظهر بالليالي لا بالأيام[3]، وأما قصة اتخاذ العجل من قبل السامري فقد كان من قوم يعبدون البقر، وظلَّ هذا في نفسه وكان يُظهر الإيمان خلافاً لما يُضمره من حبِّ الأوثان، وبعدما أمر هارون بني إسرائيل بإلقاء الحليِّ والزينة في النار باعتبارها أوزارًا من آل فرعون، تراءى له جبرائيل عليه السلام فأخذ من أثر الرسول، وقيل: من تراب فرسه، ثم أقبل إلى النار واتخذ منها عجلاً له خوار (صوت)، وقال لبني إسرائيل هذا إله موسى فعكفوا على عبادته وحبِّه، وفي التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام قال: (كان موسى بن عمران عليه السلام يقول لبني إسرائيل: إذا فرَّج الله عنكم وأهلك أعداءكم آتيكم بكتاب من ربكم يشتمل على أوامره ونواهيه ومواعظه وعبره وأمثاله، فلما فرَّج الله تعالى عنهم أمره الله عز وجل أن يأتي للميعاد، ويصوم ثلاثين يوماً عند أصل الجبل، وظنَّ موسى أنه بعد ذلك يعطيه الكتاب، فصام موسى ثلاثين يوماً [عند أصل الجبل]، وكان وعد الله عز وجل أن يعطيه الكتاب بعد أربعين ليلة فأعطاه إياه، فجاء السامري فشبه على مستضعفي بني إسرائيل، وقال: وعدكم موسى أن يرجع إليكم بعد أربعين ليلة وهذه عشرون ليلة وعشرون يوما تمت أربعون أخطأ موسى ربَّه، وقد أتاكم ربكم أراد أن يريكم: أنه قادر على أن يدعوكم إلى نفسه بنفسه، وأنه لم يبعث موسى لحاجة منه إليه، فأظهر لهم العجل الذي كان عمله فقالوا له: فكيف يكون العجل إلهنا؟ قال لهم: إنما هذا العجل يكلمكم منه ربُّكم كما كلَّم موسى من الشجرة، فالإله في العجل كما كان في الشجرة، فضلُّوا بذلك وأضلُّوا، فلما رجع موسى إلى قومه قال: يا أيها العجل أكان فيك ربّنا كما يزعم هؤلاء؟ فنطق العجل وقال: عزَّ ربُّنا عن أن يكون العجل حاوياً له، أو شيء من الشجرة والأمكنة عليه مشتملاً، لا والله يا موسى ولكن السامري نصب عجلاً مؤخره إلى الحائط وحفر في الجانب الآخر في الأرض، وأجلس فيه بعض مردته فهو الذي وضع فاه على دبره، وتكلم بما تكلم لما قال: (هذا إلهكم وإله موسى) يا موسى بن عمران: ما خذل هؤلاء بعبادتي، واتخاذي إلهًا إلا لتهاونهم بالصلاة على محمد وآله الطيبين، وجحودهم بموالاتهم وبنبوة النبي محمد ووصية الوصي حتى أدَّاهم إلى أن اتخذوني إلها، قال الله عز وجل: فإذا كان الله تعالى إنما خذل عبدة العجل لتهاونهم بالصلاة على محمد ووصيه علي عليهما السلام فما تخافون من الخذلان الأكبر في معاندتكم لمحمد وعلي وقد شاهدتموهما، وتبيَّنتم آياتهما ودلائلهما؟ ثم قال الله عز وجل: (ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون) أي: وإنما عفى الله عزَّ وجلَّ عنهم لأنهم دعوا الله بمحمد وآله الطاهرين، وجدَّدوا على أنفسهم الولاية لمحمد وعلي وآلهما الطيبين عليهم السلام، فعند ذلك رحمهم الله وعفا عنهم)[4].

١- سورة البقرة، الآيتان ٥١ - ٥٢.
٢- آلاء الرحمن في تفسير القرآن، للشيخ محمد جواد البلاغي النجفي، ٩٢/١.
٣- ينظر التبيان في تفسير القرآن للشيخ الطوسي ٢٣٢/١.
٤- تفسير الإمام العسكري ص٢٥٢، البرهان في تفسير القرآن للبحراني ٢١٦/١.

أصوات قرآنية عذبة

يشهدها الصحن الكاظمي الشريف

بمتابعة الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة الحثيثة وحرصها الدؤوب على إقامة النشاط القرآني المبارك بين أروقة الصحن الكاظمي الشريف، خصوصًا في شهر رمضان المبارك شهر الرحمة والمغفرة، وبإشراف قسم الشؤون الفكرية والإعلام ـ دار القرآن الكريم، شهد صحن الكاظمين عليهما السلام خلال تلك الليالي الرمضانية المباركة عددًا من النشاطات القرآنية، ومنها الختمة القرآنية المرتلة بأجواء إيمانية عطرة، وسط حضور فاعل من قبل المؤمنين وزائري الإمامين الكاظمين عليهما السلام للتزود من العطاء الإلهي في هذا الشهر الفضيل، حيث استمرت من اليوم الأول إلى آخره، وبمعدل جزء كامل في كل يوم، بمشاركة نخبة من قرَّاء العتبة المقدسة أمثال: (السيد عبد الكريم قاسم، والحاج رافع العامري، والحاج منير عاشور، والحاج عامر الخفاجي، والحاج همام عدنان) التي عطرت النفوس والأجواء بمعينِ آياتِ الذكر الحكيم.

الجلسة القرآنية التعليمية للرجال في الحرم الكاظمي الشريف

توكيدًا لنهج الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة القرآني ومنذ حلول شهر رمضان الخير شهر القرآن، الذي تحل معه نفحات القرآن الكريم إذ تَملأ الزمان والمكان بتلك الأجواء الإيمانية والروحانية المباركة، تُتوجُها آيات الله البينات وهي تتلى بحب وشغف لتتضاعف الحسنات وتمحى السيئات في شهر كريم، كما قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: (ومن تلا فيه آية من القرآن كان له أجر من ختم القرآن في غيره من الشهور) لتفتح نوافذ القلوب والأبصار، ولتجلي صدأ القلوب، ولأجل تيسير هذه المائدة القرآنية المباركة ،انطلقت بين أروقة جامع الجوادين في العتبة الكاظمية المقدسة، جلسات الختمة القرآنية التعليمية للرجال التي أقامتها دار القرآن الكريم التابعة لقسم الشؤون الفكرية والإعلام، بواقع جزء في كل ليلة بإشراف القارئ الحاج سلام الرماحي، والتي لاقت تفاعلاً كبيراً من قبل زائري الإمامين الهمامين موسى الكاظم ومحمد الجواد عليهما السلام.

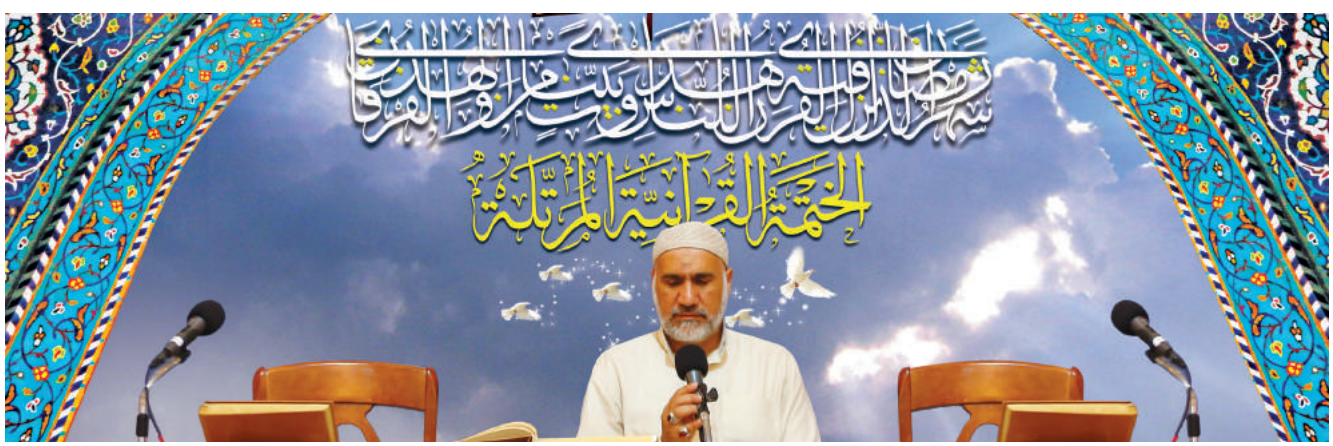

أجواء رمضانية مباركة

استمراراً لنهج الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة الثابت في رعاية واحتضان المحافل والمسابقات القرآنية والمناسبات الدينية في هذا الشهر الفضيل، ومنها المحفل القرآني اليومي تحت إشراف دار القرآن الكريم التابع لقسم الشؤون الفكرية والإعلام، في رحاب الصحن الكاظمي الشريف بمشاركة قراء العتبة الكاظمية المقدسة، حيث صدحت حناجر القرّاء بتلاوات قرآنية مفعمة بأجواء إيمانية وروحانية تحرك القلوب وتلفت الأنظار وتشنف الأسماع بجميل ما يتلى من آيات الله المباركات، كما شهدت هذه المحافل إقبالاً كبيراً من الجموع المؤمنة وزائري الإمامين الجوادين عليهما السلام.

الختمة القرآنية التعليمية للنساء

شهدت العتبة الكاظمية المقدسة في أيام وليالي شهر رمضان المبارك نشاطاً قرآنياً متميزاً، تمثل بإقامة عدد من الختمات القرآنية المباركة، فكان للنساء نصيبٌ وافرٌ من هذه البركات، عبر إقامة ختمة قرآنية تعليمية للنساء المؤمنات، بإشراف دار القرآن الكريم التابع إلى قسم الشؤون الفكرية والإعلام في العتبة المطهرة، ويأتي ذلك انطلاقاً من قول الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله: (إنَّ لكل شيءٍ ربيعاً، وربيع القرآن هو شهر رمضان) بغية تيسير تلاوة كتاب الله العزيز، والتدبُّر في آياته وأحكامه المباركة، فكان لهن أثر مميز في إحياء ليالي الشهر الفضيل بترتيل القرآن الكريم، من خلال حضورهن لجلسات الختمة القرآنية التعليمية اليومية الخاصة بهن والتي أقيمت في صحن قريش بواقع جزء من القرآن الكريم في كل ليلة، بإشراف نخبة من المُدرسات المتخصصات بالشأن القرآني المجيد، أمثال السيدة هدى فخري، ونور صالح، وعبير عبد العزيز، وابتهال عبد الواحد، وفاطمة عبد الحسين، اللواتي دأبن على استمرار الختمة التعليمة للنساء المؤمنات بشكل حريص خدمة لكتاب الله المجيد.

العتبة الكاظمية المقدسة تختتم برامجها وأنشطتها القرآنية والثقافية خلال شهر رمضان الكريم

اختتمت العتبة الكاظمية المقدسة برامجها وأنشطتها القرآنية والثقافية المتعددة التي شهدتها رحاب الصحن الكاظمي الشريف لإحياء ليالي شهر رمضان المبارك، محتفيةً بجموع المؤمنين والمؤمنات من زائري الإمامين الجوادين عليهما السلام، الذين ارتادوا على هذه المجالس طيلة أيام الشهر الفضيل، بحفل تكريم أقامه دار القرآن الكريم التابع لقسم الشؤون الفكرية والإعلام بحضور أمين عام العتبة المقدسة وأعضاء مجلس الإدارة وعدد من الأساتذة والمهتمين بالشأن القرآني والمشاركين بالبرامج القرآنية التعليمية من البنين والبنات.

استهل الحفل بتلاوة مباركة من الذكر الحكيم شنَّف بها أسماع الحاضرين القارئ الحاج همام عدنان وقراءة سورة الفاتحة ترحماً على شهداء العراق، أعقبتها كلمة الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة ألقاها أمنيها العام أ.د. جمال عبد الرسول الدباغ قائلاً: نلتقي في مساء عيد الفطر المبارك ونحن مُحزَنون لما حل بنا بفقد شبابنا في التفجير الإرهابي الآثم في الكرادة والمناطق الأخرى، إن هذه المحافل والدورات التي تقيمها العتبة المقدسة هي جزء من أدوارها المتمثلة بالدور الاجتماعي والثقافي والعلمي وخدمة الزائرين، ومن المؤكد هناك أهداف كثيرة لتعلم القرآن الكريم، ليس لأجل أن نتلوه بل ينبغي أن نستفيد من قراءته لتعلم لغة القرآن ونحافظ على لغتنا العربية الجميلة، وإننا مهددون بغزو ثقافي مستمر أوله هدم اللغة العربية الفصيحة.

ثم تلتها كلمة دار القرآن الكريم ألقاها المهندس جلال علي محمد قائلاً: شملت النشاطات في هذا الشهر المبارك الختمة القرآنية اليومية والمحفل القرآني اليومي، ولم يفت العتبة المقدسة أن تشمل أبطال الحشد الشعبي في تلك المراسم العبادية التي أقيمت في قواطع العمليات العسكرية، كما نستثمر هذه الفرصة لندعو أولياء الأمور بتشجيع أولادهم للانضمام في الدورات الصيفية ودورات حفظ القرآن التي تقيمها العتبة المقدسة، لما لهذه الدورات من إمكانية اكتشاف المواهب في الأداء والقراءة والحفظ لتحتضن بعد ذلك في دورات وفق أسلوب أكاديمي ممنهج، وختاماً نهدي ما تلوناه من كتاب الله العزيز خلال الشهر المبارك لأرواح شهدائنا الأبرار.

واختتمت تلك الفعاليات بتوزيع الهدايا على أساتذة الدورات القرآنية والمشاركين من فيض بركات الإمامين الكاظمين عليهما السلام.

العتبة الكاظمية المقدسة تستضيف مُلتقى بغداد القرآني الأول

حسين علي حسين

استضافت العتبة الكاظمية المقدسة مُلتقى بغداد القرآني الأول، الذي أقامه المركز الوطني لعلوم القرآن التابع لديوان الوقف الشيعي، بالتعاون مع الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، تحت شعار: (العمل القرآني مسؤولية الجميع)، بحضور نائب الأمين العام للعتبة الكاظمية المقدسة، الدكتور محمد حسين علي، وأعضاء مجلس الإدارة ، ونخبة من ممثلي المؤسسات القرآنية، وعدد من الشخصيات القرآنية في بغداد والمحافظات.

استهل الملتقى بتلاوة مباركة من الذكر الحكيم، بعدها ألقى عضو مجلس الإدارة فضيلة الشيخ عدي الكاظمي كلمة بهذه المناسبة، أوضح من خلالها أن خدمة القرآن الكريم والسعي في إبراز أهميتهِ لا تتوقف على الاهتمام بتحسين الأداء الصوتي والأحكام فحسب، بل يجب أن نسعى جاهدين إلى توضيح الدور الأخلاقي والسلوك القرآني داخل المجتمع، والاهتمام بترسيخ تلك القواعد، فالرُقي لا يكون إلا بهذين الجناحين، سائلين المولى عزَّ وجل أن يوفق الجميع لخدمة القرآن العظيم، ثم ابتدأ الملتقى بمناقشة المحورين المطروحين للنقاش الأول: العراق والمشاركات الخارجية، وتنسيق العمل القرآني بين مختلف الجهات القرآنية وتسليط الضوء على أهم المعوقات التي تواجه الساحة القرآنية.

وعن طبيعة هذا الملتقى تحدث مدير المركز الوطني لعلوم القرآن الكريم الأستاذ رافع العامري لمجلتنا القرآنية (ق والقرآن المجيد) قائلاً: انعقد مُلتقى بغداد القرآني في هذه الرحاب الطاهرة محفوفاً بألطاف الإمامين الكاظمين عليهما السلام لمناقشة الواقع القرآني الحالي والسبل الكفيلة في إنجاح المسابقات القرآنية الدولية وكيفية الإعداد والاختيار لها، فضلاً عن تبادل وجهات النظر في المشكلات التي تعترض المشاريع القرآنية، من جهته بيَّن مسؤول دار القرآن الكريم في العتبة الكاظمية الأستاذ جلال علي محمد قائلاً: من دواعي سرورنا أن نتواصل مع المؤسسات القرآنية الفاعلة في الساحة ومنها المركز الوطني لعلوم القرآن الكريم التابع إلى ديوان الوقف الشيعي، إذ إن هذه اللقاءات لا بد أن تثمر بكلِّ ما يدفع باتجاه تطوير العمل القرآني، وهي مسؤولية الجميع، ونحن ندعو إلى استمرار هذه اللقاءات في العتبات المقدسة لمناقشة الثقل الأول وهو كتاب الله في جوار الثقل الآخر وهم العترة الطاهرة، فعلينا أولاً خلوص النية، والالتزام بما نقرأ وما نتلو، ونتعلَّم لقطف الثمار وانعكاس مفاهيم القرآن على سلوكنا وحياتنا.

توصيات مُلتقى بغداد القرآني

١ـ تشكيل لجنة اختيار وإعداد القارئ ووضع آلية مناسبة لذلك (للرجال والنساء).

٢ـ تشكيل لجنة اختيار وإعداد الحافظ ووضع آلية مناسبة لذلك (للرجال والنساء).

٣ـ تسجيل المؤسسات القرآنية ضمن قاعدة بيانات المركز الوطني لعلوم القرآن الكريم، لمن يرغب فيها، وترتيب المسائل الإدارية المتعلقة بذلك.

٤ـ أهمية بذل جهود رئاسة ديوان الوقف الشيعي بالمشروع القرآني الوطني (بالتلاوة، والحفظ ، والعلوم الأخرى) بما يتناسب مع مكانة العراق الدولية، وليس كما هو الآن.

٥ـ مفاتحة الأمانات العامة للعتبات المقدسة لترشيح من يمثل دار القرآن الكريم فيها للتنسيق مع المركز الوطني لعلوم القرآن في مشروعه القرآني.

شكر وتقدير إلى دار القرآن الكريم

قدّم المركز الوطني لعلوم القرآن الكريم التابع إلى ديوان الوقف الشيعي شهادة تقديرية إلى دار القرآن الكريم التابع إلى قسم الشؤون الفكرية والإعلام في العتبة الكاظمية المقدسة للجهود المباركة والمساهمة الفاعلة في إنجاح (مُلتقى بغداد القرآني)، داعين المولى العلي القدير لهم بالتوفيق والسداد لخدمة لكتاب الله العزيز.

العتبة الكاظمية المقدسة تطلق دوراتها القرآنية الصيفية

انطلاقاً من قول رسول الله ﷺ: (أدِّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حُبِّ نبيّكم، وحبِّ أهل بيته، وقراءة القرآن)، تستمر الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة بنهجها الواضح وخطواتها المباركة، في دعمها ورعايتها للمسيرة القرآنية المباركة، خصوصاً أبناءنا الطلبة في العطلة الصيفية سعياً لتنشئتهم نشأة إسلامية صحيحة تنسجم وتعاليم القرآن المجيد ودينا الحنيف وأخلاق النبي الأكرم محمد ﷺ وأهل بيته الأطهار عليهم السلام، عبر فتح قنوات التعليم الخاصة بطلبة الابتدائية والمتوسطة للبنين والبنات، والتي تشتمل على حفظ وتلاوة وتعليم أحكام القرآن الكريم، فضلاً عن الدروس الفقهية، والعقائدية، والأخلاقية المبسطة بحضور أساتذة متخصصين بالشأن القرآني، بإشراف دار القرآن الكريم التابع إلى قسم الشؤون الفكرية والإعلام في العتبة المقدسة، وعن هذا الدور الكريم كان لأسرة مجلة (ق والقرآن المجيد) لقاءٌ مع أساتذة هذه الدورات المباركة، فتحدث الأستاذ عبد الكريم الأنصاري أستاذ الدورة الصيفية الخاصة بالبنين قائلاً: إنها من نعم الله علينا أن نوفق لهذا العمل التربوي المبارك أنا وزميلي الأستاذ محمد حسن جدوع، بتدريس طلبتنا الأعزاء في عطلتهم الصيفية، عددًا من الدروس المهمة في حياتهم أمثال التلاوة والتجويد والفقه المبسط ودروس في العقيدة والأخلاق وقد خصص يوما السبت والأربعاء للذكور، والأحد والخميس للإناث، أما مجموع الطلبة المسجلين في هذه الدورات يصل إلى مئة وعشرين طالبًا

للذكورحيث يمتد سقف هذه الدورات إلى ثلاثة أشهر وهي مدة العطلة الصيفية لطلبة المدارس.

وفي السياق ذاته تحدثنا مع (نورة صالح عبد النبي) الأستاذة في الدورات الصيفية النسوية فقالت مشكورة: لا شك أن العمل القرآني هو عمل تربوي وتوعوي يهدف لتربية النشئ تربية قرآنية، أخلاقية، عقائدية، وقد توافدت علينا جموع طيبة بلغت أكثر من خمسين طالبة، تروم التعليم القرآني في العتبة الكاظمية المقدسة كونها المكان الأنسب والأفضل للتزود بعلوم الثقلين كتاب الله والعترة المطهرة، وعليه فقد تم تقسيم المواد الدراسية إلى ثلاثة مواد، وهي التلاوة والتجويد، والأخلاقية والعقائدية، بإشراف مسؤولة وحدة الأنشطة النسوية، السيدة (هدى فخري)، ومعنا أيضا السيدة العلوية (حنان علوان الموسوي)، لنكمل معاً هذه الرحلة الطيبة التي نهدف من خلالها تربية بناتنا تربية إسلامية صالحة.

أما عن دورة التنغيم القرآني للكبار فقد تحدث أستاذ الدورة الشيخ (عباس المنشداوي)، عن سعادته البالغة، وهو يقف على منصة تعليم الطلبة قائلاً: إنه لشرف عظيم أن نكونَ في رحاب الصحن الكاظمي الشريف، هذا المكان المقدس والمطهر سيما ونحن نجمع بين الخدمتين الشريفتين، خدمة الثقلين كتاب الله والعترة المطهرة، ولأجل تربية جيل جديد من قرَّاء القرآن الكريم، لابد من الوقوف عند موضوع التنغيم القرآني الذي يرتبط بتصوير المعاني القرآنية، لذلك أعددنا العدة وفق منهاج متكامل، حيث يمتد زمن هذه الدورة إلى عام كامل، وقد لاقى هذا الدرس إقبالاً حسناً من قبل جميع القرَّاء المشتركين في هذه الدورة، والتي اعتمدنا فيها موضوع جودة الأحكام، أي على أن يكون المتقدم حاصلًا على شهادة في أحكام التلاوة والتجويد ليؤهل للتلاوة الحسنة، وليكون مستقبلًا من القرَّاء المؤهلين لتمثيل البلد في المسابقات القرآنية الوطنية والدولية.

الإمام الكاظم عليه السلام

وآثاره في تفسير القرآن الكريم

-٣-

تحدثنا في الحلقة السابقة عن بيان ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾[1]، في روايات الإمام الكاظم عليه السلام التفسيرية، ونتحدث في هذه الصفحات القرآنية عن آية ثالثة، مع بيان ما يتعلق بها. الآية الثالثة / قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2].

د. الشيخ عماد الكاظمي

* عن محمد بن الفضيل[3]، عن أبي الحسن الماضي (موسى بن جعفر) عليه السلام قال: (ألا ترى أنَّ الله يقول: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾، قال: إنَّ الله أعزُّ وأمنعُ من أنْ يظلمَ، أو ينسبَ نفسَهُ إلى ظلمٍ، ولكنَّ اللهَ خَلَطَنا بنفسِهِ، فجعلَ ظُلْمَنا ظُلْمَهُ، وولايَتَنا ولايَتَهُ)[4].

إنَّ هذا المقطع[5] من الرواية التفسيرية الشريفة يمكننا أنْ نبحث فيه من جانبين مهمين:

* أولاً: نسبة الظلم إلى الله تعالى.

* ثانيًا: العلاقة بين ولاية الله تعالى وولاية الأئمة عليهم السلام.

وهذا الجانبان مهمَّان جدًّا؛ لما لهما من علاقة بالمسائل العقائدية التي يجب على المسلمين معرفتها أولاً بالدليل، والاعتقاد والإيمان بها، والرواية الشريفة ذكرت ذلك إجمالاً، مع إشارات بيانية.

أما فيما يتعلق بالجانب الأول فإنَّ العقيدة الإسلامية قائمة على أنَّ الله تعالى عادلٌ، لا يظلم عباده مطلقًا، وهناك أدلة عقلية ونقلية تؤكِّد ذلك، ومنها:

- إنَّ مَنْ يفعل الظلم إما محتاجٌ إليه، أو مضطرٌ عليه، وكلاهما لا يليق بالله تعالى، فهو الغني المطلق، وهو واجب الوجود، حيث حاجة الموجودات كلها إليه.

- إنَّ الله لو لم يكن عادلاً، فقد يفعل الظلم -حاشاه تعالى-، وبذلك لا يمكنه أنْ يحاسب ظالمًا على ظلمه؛ لأنه قد سَنَّ نظامه.

- العدل أمر يستحسنه العقل، والظلم قبيح يستقبحه العقل، وقد أجمع العقلاء على ذلك، والشارع سيد العقلاء. وغير ذلك من الأدلة التي تؤكِّد هذه العقيدة الثابتة الراسخة، قال السيد "عبد الله شبر" (ت١٢٤٢هـ/١٨٢٧م): ((العدلُ به يتمُّ التوحيدُ، وتتوقَّفُ عليهِ سائرُ الأصولِ من النبوةِ والإمامةِ والمعادِ.... إنه تعالى لا يفعل القبيح، ولا يترك الواجب؛

١- سورة البقرة: الآية ٤٥.

٢- سورة البقرة: الآية ٥٧.

٣- محمد بن الفضيل الأزدي، الصيرفي، الكوفي، من أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام، وورد أنَّهُ من أصحاب الإمامين الصادق والرضا عليهما السلام، له كتاب ومسائل، ويذكر في بعض الموارد أسمه محمد بن الفضيل الأزرق. ينظر: أبو القاسم الخوئي: معجم رجال الحديث ١٥١/١٨.

٤- الكليني: الكافي ٤٣٥/١ باب (فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية) الحديث ٩١.

٥- إنَّ الرواية طويلة وقد تضمنت أسئلة متعددة للإمام الكاظم عليه السلام، وقد آخترت هذا المقطع منها الوارد في سورة البقرة لترتيب الروايات التفسيرية كما في القرآن الكريم، وللتفصيل في الرواية ينظر: الكافي ٤٣٢/١-٤٣٥ وهذا الحديث قد روي كذلك عن الإمام الباقر عليه السلام. ينظر الكافي ١٤٦/١ باب (النوادر) الحديث ١١.

لِما ثَبُتَ من قدرتِهِ على فعلِ الواجبِ، وتركِ القبيحِ، وعلمِهِ بوجوبِ الواجبِ وحُسْنِهِ، وبقبحِ القبيحِ، وغناهُ عن كليهما))[٦]، ومما قاله الشيخ "محمد رضا المظفر" (ت١٣٨٣هـ/١٩٦٤م) في بيان عقائد الإمامية: ((ونعتقدُ أَنَّهُ سبحانَهُ لا يتركُ الحسنَ عندَ عدمِ المزاحَمَةِ، ولا يفعلُ القبيحَ؛ لأَنَّهُ تعالى قادرٌ على فعلِ الحسنِ، وتركِ القبيحِ .... فلا الحَسَنُ يتضرَّرُ بفعلِهِ حَتَّى يحتاجَ إلى تركهِ، ولا القبيحُ يفتقرُ إليهِ حتى يفعلَهُ، فلو كانَ يفعلُ الظلمَ والقُبْحَ -تعالى عن ذلك- فإنَّ الأمر في ذلكَ لا يخلو عن أربعِ صورٍ:

١- أَنْ يكونَ جاهلاً بالأمرِ، فلا يدري أَنَّهُ قبيحٌ.

٢- أَنْ يكونَ عالمًا به، ولكنَّهُ مجبورٌ على فعلِهِ، وعاجزٌ عن تركهِ.

٣- أَنْ يكونَ عالمًا بهِ وغيرَ مجبورٍ عليهِ، ولكنَّهُ محتاجٌ إلى فعلِهِ.

٤- أَنْ يكونَ عالمًا بهِ، وغيرَ مجبورٍ عليهِ ولا يحتاجَ إليه، فينحصرُ في أَنْ يكونَ فِعْلُهُ لَهُ تشهِّيًا وعبثًا ولهوًا. وكُلُّ هذه الصورِ محالٌ على اللهِ تعالى، وتستلزمُ النقصَ فيهِ، وهو محضُ الكمالِ، فيجبُ أَنْ نحكمَ أَنَّهُ منزَّهٌ عن الظلمِ، وفعلِ ما هو قبيحٌ))[٧]، وأما ما ورد من أدلة نقلية فمنها:

- قال تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٨].

- قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٩].

- روي عن الإمام زين العابدين عليه السلام: ((وقَدْ عَلِمْتُ أَنَّهُ ليسَ في حُكْمِكَ ظلمٌ، ولا في نقمتِكَ عَجَلَةٌ، وإنَّما يَعْجَلُ مَنْ يخافُ الفَوْتَ، وإنَّما يحتاجُ إلى الظلمِ الضعيفُ، وقَدْ تعاليتَ يا إلهي عَنْ ذلكَ عُلُوًّا كبيرًا))[١٠].

وغيرها من الأدلة

إنَّ الإمام الكاظم عليه السلام أراد في حديثه الشريف التأكيد على هذه المسألة العقائدية التي اختلف المسلمون في بعض ما يتعلق بها، وقد ذكرت المؤلفات العقائدية ذلك بالتفصيل، والآية الشريفة واضحة الدلالة في نفي ذلك عنه سبحانه، وهذا المقطع من الآية الشريف له علاقة بما قبله في الآية نفسها بقوله تعالى: (وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) وهذا ما ذكره المفسرون في تفاسيرهم، ونذكر من ذلك:

١- قال "محمد بن جرير الطبري" (ت٣١٠هـ/٩٢٣م): ((ويعني بقوله: (وَمَا ظَلَمُونَا)، وما وضَعوا فعلَهُمْ ذلكَ وعصيانَهُمْ إيَّانا موضعَ مضرةٍ علينا، ومنقصةٍ لنا، ولكنَّهُمْ وضعوهُ من أنفسهِمْ موضعَ مضرةٍ عليها، ومنقصةٍ لها .... وكذلكَ ربُّنا جَلَّ ذكرُهُ، لا تضرُّهُ معصيةُ عاصٍ، ولا يتحيَّفُ خزائنَهُ ظلمُ ظالمٍ، ولا تنفعُهُ طاعَةُ مطيعٍ، ولا يزيدُ في ملكِهِ عدلُ عادلٍ، بَلْ نفسَهُ يظلِمُ الظالِمُ، وحَظَّها يبخسُ العاصي، وإيَّاها ينفعُ المطيعُ، وحَظَّها يصيبُ العادلُ))[١١].

٢- قال الشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ/١٠٦٨م): ((المعنى إنَّما يتصلُ بما قبلَهُ بتقديرِ محذوفٍ فكأنَّهُ قال: فخالفوا ما أمرَ اللهُ بهِ، أو كفروا هذه النعمةَ، " (مَا ظَلَمُونَا) قال ابن عباس: وما نقصونا، ولكن كانوا أنفسهُمْ ينقصون، وقال غيره: معناه وما ضرونا، ولكن كانوا أنفسهُمْ يضرُّونَ))[١٢].

وأما فيما يتعلق بالجانب الثاني حول ولاية الأئمة عليهم السلام فلا يخفى أنَّ الله تعالى جعل خلفاء أئمة اثني عشر حافظين للشريعة الإسلامية المقدسة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، كُلٌّ يؤدي دوره في حفظ الأمة من الضلال، وقد أكَّد القرآن الكريم ذلك في ولاية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عند نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[١٣]، قال الشيخ "الطبرسي" (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م): ((وهذهِ الآيةُ من أوضحِ الدلائلِ على صحةِ إمامةِ عليٍّ بعدَ النبيِّ بلا فصلٍ، والوجهُ فيهِ أَنَّهُ إذا ثبتَ أَنَّ لفظةَ (وَلِيُّكُمُ) تفيدُ مَنْ هُوَ أولى بتدبيرِ أمورِكُمْ ويجبُ طاعتُهُ عليكُمْ، وثبتَ أَنَّ المرادَ بـ(الَّذِينَ آمَنُوا) عليٌّ ثبتَ النصُّ عليهِ بالإمامةِ ووضحَ، والذي يدلُّ على الأولِ هو الرجوعُ إلى اللغةِ فمَنْ تأمَّلها علمَ أَنَّ القومَ نَصُّوا على ذلك، ثم الذي يدلُّ على أنَّها في الآيةِ تفيدُ ذلكَ دونَ غيرهِ أَنَّ لفظةَ (إنَّما) على ما تقدمَ ذكره تقتضي التخصيصَ ونفيَ الحكمِ عَمَّنْ عدا المذكورِ))[١٤] فولاية الإمام هي ولاية الله تعالى؛ لأنه الواسطة بين الله تعالى وعباده في بيان أوامره ونواهيه، ومَنْ يقوم بأيِّ عملٍ تجاه الإمام من إحسان أو إساءة فهو يعود على الله عز وجل، قال المولى "المازندراني" (ت١٠٨١هـ/١٦٧١م) في شرحه لهذا المقطع: (((وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) لرجوعِ جزاءِ الظلمِ إليهم، وجعلِ ولايتِنا للمؤمنينَ ولايتَهُ حيثُ قال: (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا) يعني الأئمة، ثم أنزلَ بذلكَ -أي بجعلِ ظُلْمِنا ظلمَهُ مجازًا، أو بِضَمِّنا إلى نفسهِ إظهارًا لشرفِنا- قرآنًا على نبيِّهِ، والغرضُ نفيُ الظلمِ عَنِ الأئمةِ إلا أَنَّهُ ضَمَّهُمْ إلى نفسه))[١٥].

فالرواية الشريفة تؤكِّد المعنى المتقدم من مقامهم، ومنزلتهم عند الله تعالى، وأنَّهم يمثِّلون الله في الأرض، وقد روي في ذلك عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل: ((وأما قوله: (وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) فهو تباركَ اسمُهُ أجلُّ وأعزُّ من أنْ يظلمَ، ولكنَّهُ قَرَنَ أُمناءَهُ على خلقِهِ بنفسِهِ، وهُوَ عَرَّفَ الخليقةَ جلالَةَ قدرِهِمْ عندهُ، وأنَّ ظلمَهُمْ ظُلْمُهُ بقوله: (وَمَا ظَلَمُونَا) ببغضِهِمْ أوليائِنا، ومعونةِ أعدائِهِمْ عليهِمْ، (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) إذ حرموها الجنةَ، وأوجبوا عليها دخولَ النارِ))[١٦].

فالأئمة عليهم السلام لهم مقام عظيم عند الله عز وجل، وهناك روايات متعددة قد ذكرت ذلك، منها: ((روي عن حَمْزَةَ بْنِ بَزِيعٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله [الصادق] عليه السلام فِي قَوْلِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ: * (فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ) فَقَالَ: إِنَّ الله عَزَّ وجَلَّ لَا يَأْسَفُ كَأَسَفِنَا، ولَكِنَّه خَلَقَ أَوْلِيَاءَ لِنَفْسِه يَأْسَفُونَ ويَرْضَوْنَ، وهُمْ مَخْلُوقُونَ مَرْبُوبُونَ، فَجَعَلَ رِضَاهُمْ رِضَا نَفْسِه، وسَخَطَهُمْ سَخَطَ نَفْسِه؛ لأَنَّهُ جَعَلَهُمُ الدُّعَاةَ إِلَيْه، والأَدِلَّاءَ عَلَيْه، فَلِذَلِكَ صَارُوا كَذَلِكَ ولَيْسَ أَنَّ ذَلِكَ يَصِلُ إِلَى الله كَمَا يَصِلُ إِلَى خَلْقِه، لَكِنْ هَذَا مَعْنَى مَا قَالَ مِنْ ذَلِكَ، وقَدْ قَالَ: مَنْ أَهَانَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالْمُحَارَبَةِ ودَعَانِي إِلَيْهَا .... ولَوْ كَانَ يَصِلُ إِلَى الله الأَسَفُ والضَّجَرُ وهُوَ الَّذِي خَلَقَهُمَا وأَنْشَأَهُمَا لَجَازَ لِقَائِلٍ هَذَا أَنْ يَقُولَ إِنَّ الْخَالِقَ يَبِيدُ يَوْمًا مَا؛ لأَنَّهُ إِذَا دَخَلَهُ الغَضَبُ والضَّجَرُ دَخَلَه التَّغْيِيرُ وإِذَا دَخَلَه التَّغْيِيرُ لَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْه الإِبَادَةُ))[١٧]، وفي رواية عَنْ أَسْوَدَ بْنِ سَعِيدٍ قَالَ: ((كُنْتُ عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ [الباقر] عليه السلام فَأَنْشَأَ يَقُولُ ابْتِدَاءً مِنْه مِنْ غَيْرِ أَنْ أَسْأَلَه نَحْنُ حُجَّةُ اللهِ، ونَحْنُ بَابُ اللهِ، ونَحْنُ لِسَانُ اللهِ، ونَحْنُ وَجْهُ اللهِ، ونَحْنُ عَيْنُ اللهِ فِي خَلْقِه، ونَحْنُ وُلَاةُ أَمْرِ اللهِ فِي عِبَادِه))[١٨].

٦- حق اليقين في معرفة أصول الدين ٧٧/١.
٧- عقائد الإمامية ص٧٦-٧٧.
٨- سورة يونس: الآية ٤٤.
٩- سورة الكهف: الآية ٤٩.
١٠- الصحيفة السجادية ص٢٨٤.
١١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١٠٢/٢.
١٢- التبيان في تفسير القرآن ٢٦٠/١.
١٣- سورة المائدة: الآية ٥٥.
١٤- مجمع البيان في تفسير القرآن ٣٢٦/٣.
١٥- المولى محمد صالح المازندراني: شرح أصول الكافي ١٢٥/٧.
١٦- أحمد بن علي الطبرسي: الاحتجاج ٣٧٩/١.
١٧- الكافي ١٤٦/١ باب (النوادر) الحديث ٦.
١٨- الكافي ١٤٦/١ باب (النوادر) الحديث ٧.

اللطف الإلهي

الحلقة الأخيرة

الشيخ أحمد عبدالله التماوي

كنا قد تحدثنا في العدد السابق عن اللطف المقرب بتفاصيل مبسطة، وها نحن نشرع بإذن الله بتفاصيل اللطف المحصل، وهو كالتالي:

اللطف المحصِّل

(وهو ما يحصل عنده الطاعة من المكلف على سبيل الاختيار، ولولاه لم يطع مع تمكنه في الحالين)[1]، بمعنى أن هذا الأمر المفعول من قبل الله تعالى وهو اللطف الذي به يحصل الغرض من الخلقة وهو الطاعة وبدونه ـ أي اللطف ـ لا يعمد المكلف إلى فعل الطاعة من تمكنه من فعلها فيكون أبعد عن الطاعة وهو نقض لغرض خلقة العباد. بيان ذلك: إن الذي يقوم بدعوة إنسان ما إلى مائدة طعام، ويعلم أن المدعو يتمكن من تلبية الدعوة باختياره، وقد لا يلبيها. بمعنى أن الداعي يعلم أن المدعو يلبي أو لا يلبي الدعوة اختياراً في الحالين ويعلم الداعي أنه لو لم يقم بأمر يجعل الإنسان المدعو يحصل غرض الدعوة وهو المجيئ لها لكان ناقضاً لغرضه، فوجب على الداعي فعل الأمر الذي يحصل به غرضه، كأن يذهب ويدعوه بنفسه لا بواسطة شيء آخر. فإذا تقرر هذا المثال نقول: إن الأمور التي يتوقف عليها تحصيل الغرض من الخلقة فلاشك في أن الله تعالى يجب منه ذلك، وذلك أن الله تعالى إذا علم أن المكلَّف لا يطيع إلا باللطف، فلو كلفه من دونه كان ناقضاً، والله تعالى هو العالم بما خلق ويعلم جهرهم وإسرارهم، وعليه يكون هذا الفعل اللطفي أمرًا واجبًا منه تعالى، لأنه تعالى يعلم أن غرضه من الخلقة لا يحصل إلا بأمر يفعله للمكلفين حتى يعملوا بما كُلِّفوا به.

آيات وروايات في اللطف المحصِّل

أما اللطف المحصل فكما تقدم فبه يتحصل الغرض الإلهي من الخلقة حيث يقول الله تعالى شأنه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]، والغرض هو المعرفة بالله لا غير، ولذلك قالوا فيها أي ليعرفون، لعدم امكان العبادة بدون المعرفة، إذ يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (أوَّل الدِّين معرفته)[3]، ولم يقل عبادته وقال الله تعالى: في الحديث القدسي: (كنت كنزًا مخفيًّا فأحببت ان أعرف فخلقت الخلق لكي أُعرف)[4]. فالغرض من خلقة الخلق هو المعرفة ومن ثمَّ العبادة والطاعة والقرب من الله تعالى شأنه، ولما كان الغرض غير راجع إلى الله تعالى بل إلى عباده كان حقّاً على الله أن يعرفهم الحجة، ويلزمهم الشريعة، ويسلك بهم الطريقة المثلى، وإلا كان نقضاً للغرض وهو قبيح. ولا يخفى أن فعله معلل بالغايات ففعله خالٍ تماماً من العبثية واللغوية، ولكن هذه الغايات ليست راجعة إليه تعالى الله عن ذلك وإلا لكان مستكمِلاً بها لأن ذلك ينافي الكمال الذاتي المطلق، والغنى الذاتي المطلق، كما أشير إليه في الحديث القدسي، وهذه المعرفة والعبادة يرجع نفعها إلى نفس العبد فيستكمل بها، فتدبر ولاحظ. واللطف المحصِّل أمثلته كثيرة ومنها النبوة والإمامة والمعاد وغير ذلك، لأن بالنبوة يحصل تبليغ الدين والتكاليف الشرعية وبالإمامة تمام هذه الأمور إذ لا من إمام يقيم عوج الناس ويصلح أمورهم إما ظاهر مشهور أو مغمور. واعتقادنا في الأئمة عليهم السلام: (أنهم أولوا الأمر الذين أمر الله تعالى بطاعتهم، وأنهم الشهداء على الناس، وأنهم أبواب الله والسبيل إليه، والأدلاء عليه، وأنهم عيبة علمه، وتراجمة وحيه وأركان توحيده، وأنهم معصومون من الخطأ والزلل، وأنهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وأن لهم المعجزات والدلائل، وأنهم أمان لأهل الأرض، كما أن النجوم أمان لأهل السماء، وأن مثلهم في هذه الأمة كسفينة نوح أو كباب حطة، وأنهم عباد الله المكرمون الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون)[5]. يقول الشيخ الكراجكي رحمه الله: (الدليل على أنه لابد للناس من إمام في كل زمان فمختصره إنا نعلم علما ليس للشك فيه مجال إن وجود الرئيس في الرعية المطاع ذي الهيبة مقومًا ومثقفًا ومذكرًا وموقفًا أردع لها من القبيح وأدعى إلى فعل الجميل وأكف لأيدي الظالمين وأحرس لا نفس الرادعين ووجود الهرج بينهم ووقع الفتن منهم)[6]. وروايات عدم خلو الأرض من خليفة وحجة، وحديث الثقلين، وأحاديث اتصال الوصية، وتواتر إرسال الانبياء وإثبات الأوصياء والزيارة الجامعة، وغيرها من الأحاديث صريحة في ذلك بلا مزيد إطالة في الكلام.دفع توهم ولا يخالجنَّك الشك في أن الباري تعالى شأنه يجب منه أن يجعل الأنبياء أو الأئمة أصحابَ سلطة وجاه وقوة وعدة حتى يطبقون شرع الله تعالى على أتمه؛ لأنه إن كان الأنبياء والأئمة كذلك بشكل سيَّال لكان دخول الناس في الدين الإلهي قهراً وجبراً، وعليه يكون النفاق ـ على أقل التقادير ـ هو الصبغة السائدة على المجتمع الذي يفترض أن تسوده الصبغة الدينية الخالية من النفاق. أضف إلى ذلك أن القهر والسطوة والقوة لا تجلب في أكثر الأحيان إلا البغض والكراهية، وعدم الركون للدين بشكل ينبغي، ناهيك عن أن القهر والقوة ليسا من الأمور الحتمية في أن تحصل للنبي صلى الله عليه وآله وكذا الإمام، إلا أن يكون في ذلك حكمة بالغة كما كان لسليمان وداود عليهما السلام، وما كان ليوسف الصديق عليه السلام. وعموماً فإن الله تعالى يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾[7]. وهو القائل: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[8]. وقوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾[9]. فلو يشاء الله لجعل الناس أمة واحدة يعبدونه ولا يشركون به شيئاً،

١ـ كشف المراد في شرح تجريد الإعتقاد، للعلامة الحلي، المقصد الثالث، الفصل الثالث، المسألة الثانية عشرة في اللطف وماهيته.
٢ـ سورة الذاريات، الآية ٥٦
٣ـ نهج البلاغة، خطبة رقم ١
٤ـ شرح أصول الكافي، للمازندراني، ٢٤/١.
٥ـ الإعتقادات للصدوق، ص٩٤، باب الاعتقاد في عدد الأنبياء والأوصياء عليهم السلام.
٦ـ كنز الفوائد، ص١٦١.
٧ـ سورة البقرة، الآية ٢٥٦.
٨ـ سورة الكهف، الآية ٢٩.
٩ـ سورة الأنعام، الآية ١٠٧.

فإن كان هذا هو المطلوب فليس ثمة داع لخلق الخلق إذ العبادة متحققة من الملائكة ﴿لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[١٠]. ولكنه تعالى ولعلمه بالنظام الأحسن جعل الناس مختلفين ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾[١١]، ولأجل يُظهِرَ الله المطيع من العاصي، والمنافق من المؤمن جعلهم هكذا ﴿وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[١٢]. فلو كان الله يريد منهم الطاعة جميعاً وأجبرهم على ذلك لكان المحسن أولى بالعقوبة والعاصي أولى بالإحسان إذ يقول أمير المؤمنين عليه السلام: (لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ وَالأَمْرُ وَالنَّهْيُ وَالزَّجْرُ مِنَ اللَّهِ وَسَقَطَ مَعْنَى الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ فَلَمْ تَكُنْ لَائِمَةٌ لِلْمُذْنِبِ وَلَا مَحْمَدَةٌ لِلْمُحْسِنِ وَلَكَانَ الْمُذْنِبُ أَوْلَى بِالإِحْسَانِ مِنَ الْمُحْسِنِ وَلَكَانَ الْمُحْسِنُ أَوْلَى بِالْعُقُوبَةِ مِنَ الْمُذْنِبِ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَلَّفَ تَخْيِيراً وَنَهَى تَحْذِيراً وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيراً وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً وَلَمْ يُطَعْ مُكْرِهاً وَلَمْ يُمَلِّكْ مُفَوِّضاً وَلَمْ يَخْلُقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً وَلَمْ يَبْعَثِ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ عَبَثاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ)[١٣].

ومن جملة الآيات في اللطف المحصل

قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾[١٤]. إذ لو لم يكن ثمة يوم يرجع فيه الكل للحساب لكان الخلق عبثاً ولغواً تعالى الله عن ذلك. ولأن الدنيا دار ضيقة ودار تزاحم وتضاد وليست داراً للجزاء والحساب الأكبرَين. فإذن هناك غرض من خلق العباد وعليه يستوجبون الثواب أو العقاب في يوم المعاد. وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللهِ شَهِيدًا﴾[١٥]. وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾[١٦]. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾[١٧]. فعدم تعيين الخليفة بعد النبي يعني ضياع الرسالة وهو يعني تفويت المصالح على العباد التي جعلها الله تعالى لهم، والآية السابقة عليها توضح هذا الأمر إذ يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾[١٨].

وأما من الروايات

قال أمير المؤمنين عليه السلام: (بعث رسله بما خصهم به من وحيه، وجعلهم حجة له على خلقه، لئلا تجب الحجة لهم بترك الاعذار إليهم فدعاهم بلسان الصدق إلى سبيل الحق، إلا أن الله قد كشف الحق لا أنه جهل ما أخفوه من مصون أسرارهم ومكنون ضمائرهم، ولكن ليبلوهم أيهم أحسن عملا، فيكون الثواب جزاء والعقاب بواء)[١٩].

وعنه عليه السلام: (فبعث فيهم رسله وواتر إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته، ويذكروهم منسي نعمته، ويحتجوا عليهم بالتبليغ، ويثيروا لهم دفائن العقول، ولم يخل سبحانه خلقه من نبي مرسل، أو كتاب منزل، أو حجة لازمة، أو محجة قائمة، رسلٌ لا تقصر بهم قلة عددهم، ولا كثرة المكذبين لهم، من سابق سمَّى له مَن بعده، أو غابر عرفه مَن قبله، على ذلك نسلت القرون، ومضت الدهور، وسلفت الآباء، وخلفت الأبناء، إلى أن بعث الله سبحانه محمدًا رسول الله صلى الله عليه وآله لإنجاز عدته، وتمام نبوته، مأخوذا على النبيين ميثاقه، مشهورة سماته، كريمًا ميلاده، وأهل الأرض يومئذ ملل متفرقة، وأهواء منتشرة، وطوائف متشتتة، بين مشبه لله بخلقه أو ملحد في اسمه أو مشير إلى غيره، فهداهم به من الضلالة، وأنقذهم بمكانه من الجهالة)[٢٠].

وقال عليه السلام: (أيها الناس إن الله تبارك وتعالى لما خلق خلقه أراد أن يكونوا على آداب رفيعة، وأخلاق شريفة، فعلم أنهم لم يكونوا كذلك إلا بأن يعرفهم ما لهم وما عليهم، والتعريف لا يكون إلا بالأمر والنهي، والأمر والنهي لا يجتمعان إلا بالوعد والوعيد، والوعد لا يكون إلا بالترغيب، والوعيد لا يكون إلا بالترهيب، والترغيب لا يكون إلا بما تشتهيه أنفسهم وتلذه أعينهم، والترهيب لا يكون إلا بضد ذلك، ثم خلقهم في داره وأراهم طرفاً من اللذات ليستدلوا به على ما ورائهم من اللذات الخالصة التي لا يشوبها ألم، ألا وهي الجنة، وأراهم طرفاً من الآلام ليستدلوا به على ما ورائهم من الآلام الخالصة التي لا يشوبها لذة، ألا وهي النار، فمن أجل ذلك ترون نعيم الدنيا مخلوطًا بمحنها، وسرورها ممزوجًا بكدرها وغمومها)[٢١].

ومما جاء عن الفضل بن شاذان أنه سأل الإمام الرضا عليه السلام عن علة بعث الأنبياء، فقال عليه السلام: (لأنه لما لم يكن في خلقهم وقواهم ما يثبتون به لمباشرة الصانع تعالى حتى يكلمهم ويشافههم لضعفهم وعجزهم وكان الصانع متعالياً عن أن يرى ويباشر، وكان ضعفهم وعجزهم عن إدراكه ظاهرًا لم يكن يدلهم من رسول بينه وبينهم معصوم، يؤدي إليهم أمره ونهيه وأدبه، ويقفهم على ما يكون به اجتلاب منافعهم ودفع مضارهم، إذ لم يكن في خلقهم ما يعرفون به ما يحتاجون إليه من منافعهم ومضارهم، فلو لم يجب عليهم معرفته وطاعته لم يكن لهم في مجئ الرسول منفعة ولا سد حاجة، ولكان يكون إتيانه عبثًا لغير منفعة ولا صلاح، وليس هذا من صفة الحكيم الذي أتقن كل شيء)[٢٢].

وعن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام قال: (خرج الحسين بن علي عليه السلام ذات يوم على أصحابه فقال: بعد الحمد لله جل وعز، والصلاة على محمد رسوله صلى الله عليه وآله: يا أيها الناس إن الله والله ما خلق العباد إلا ليعرفوه، فإذا عرفوه عبدوه، فإذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه، فقال له رجل: بأبي أنت وأمي يا ابن رسول الله ما معرفة الله؟ قال: معرفة أهل كل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته)[٢٣].

قال الصدوق (رحمه الله) في ذيل هذا الحديث الشريف: (إن يعلم أهل كل زمان أن الله هو الذي لا يخليهم في كل زمان عن إمام معصوم، فمن عبد ربًّا لم يقم لهم الحجة فإنما عبد غير الله عز وجل). بمعنى أن واجب الوجود حقاً الذي يجب أن يُعرف وتُصرف له العبادة، ويُتوجه إليه بالمسألة هو الذي لا يترك خلقه بغير هاد ولا حجة، في كل زمان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وعليه فمن كان يعتقد أن الله لا يجب منه ذلك فقد عبد غير الله.

والمحصلة: إن اللطف الإلهي المحصل واجب من الله تعالى لحكمته، ولعلمه بالنظام الأحسن جعل ألطافاً بها يحصل الغرض الإلهي من الخلقة، وإلا لكان عبثاً تعالى الله عن ذلك، واللطف المقرب من شأن أن يجعل العباد أقرب إلى الطاعة، وأبعد عن المعصية من أوامر ونواهٍ وإرشادات، فلو لم يجعلها فكأنه دعاهم إلى الجنة من غير إيضاح الطريق، ومن غير ما يسهل لهم الوصول إليه، وكأنه تركهم في غيِّهم يعمهون، فلذا وجب منه سبحانه ذلك.

١٠- سورة التحريم، الآية ٦.
١١- سورة هود، الآية ١١٨.
١٢- سورة هود، الآية ١١٩.
١٣- الكافي، ١/١٥٥ باب الجبر والقدر والأمر بين الأمرين، ح١.
١٤- سورة المؤمنون، الآية ١١٥.
١٥- سورة الفتح، الآية ٢٨.
١٦- سورة طه، الآية ١٣٤.
١٧- سورة المائدة، الآية ٦٧.
١٨- سورة المائدة، الآية ٦٦.
١٩- بحار الأنوار، ٥/٣١٦، باب ١٥، ح١١.
٢٠- نهج البلاغة، خطبة رقم ١ في صفة خلق آدم عليه السلام.
٢١- بحار الأنوار، ٥/٣١٦، باب١٥، ح١٣.
٢٢- علل الشرايع، للصدوق، ج١، باب ١٨٢ علل الشرايع وأصول الإسلام، ح٩.
٢٣- علل الشرايع، للصدوق، ج١، باب علة خلق الخلق واختلاف أحوالهم، ح١.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
(إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا - وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا - وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا - يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا - بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا - يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ - فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ - وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ)

سورة الزلزلة

الشيخ نجم الدراجي

اهتم القرآن الكريم كثيراً بعقيدة المعاد وتفاصيلها ومقدماتها، من نهاية الكون وتبدله والأحداث التي تجري للبحار والشمس والقمر وغير ذلك، وقد أخذت الأرض حيِّزاً واضحاً في ذلك ، فنجد رجَّ الأرض ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا﴾[1]، والرجُّ هو التحرك الشديد للشيء، ونجد أيضا مدَّ الأرض ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾[2]، ويعني اتساعها، ونجد تبديل الأرض ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾[3]، ولا نعرف ترتيب هذه الحوادث بعضها مع البعض الآخر، لكن من المتيقن، أنها تتحدث عن نهاية الكون كمقدمات للقيامة، وفي بداية السورة المباركة تحدث عن زلزلة الأرض ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، والزلزلة هي حركة الأرض من أسفلها حركة شديدة، واضطرابها اضطراباً شديداً حتى يتحطم ويتكسر كلُّ شيء عليها، وتأكيدها بالمفعول المطلق (زِلْزَالَهَا) يفيد التعظيم والتفخيم، وبكلمة أخرى أنها في منتهى الشدة والهول، وبعد هذا الزلزال الهائل هناك إخراج ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾، والأثقال: جمع ثقل وهو المتاع الثقيل أو الحمل الثقيل، والمعنى المراد هنا الموتى يخرجون من باطن الأرض، أو الكنوز والمعادن، والآيات التالية ترجح كون المخرج هم الناس

١- سورة الواقعة: الآية٤.
٢- سورة الإنشقاق:الآية٣.
٣- سورة إبراهيم: الآية٤٨.

و من الأرض ، هذا الزلزال وهذا الإخراج يدعو جنس الإنسان إلى الدهشة والتساؤل عن شأن الأرض وماذا جرى لها؟، ﴿وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾، وكلمة الإنسان واضحة الدلالة على شمولها لكل البشر مؤمنهم وكافرهم، وفي هذا التوقيت تتحدث الأرض (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا)، وهي شهادتها على كل عبد بما عمل عليها من خير أو شر كثيراً أو قليلاً، وقد يُفسر التحدُّث أنه بلسان الحال لا المقال، وذلك بظهور آثار أعمال العباد، لكن هذا لا يتلاءم مع ما بعده، فإن ما بعده يفسره ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾، فتحديث الأرض هو بالوحي الإلهي، وهذا الوحي من جهة وشهادة الأرض بأعمال العباد من جهة أخرى يدل على نوع شعور لدى الأرض، وإمكانية تحملها للشهادة،

والقرآن ينسب التسبيح إلى كل الأشياء، وهو تنزيه الباريء من النقص وهو نوع علم (وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ)[4]، وإنطاق الله للأشياء إذا نُسب لله القادر فلا مانع شرعي منه كما في تعجب أهل النار من شهادة جلودهم وردِّها عليهم (وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ)[5]، وفي هذا الظرف العصيب يخرج الناس من قبورهم لغرض إراءتهم أعمالهم ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ وفعل المضارع (يَصْدُرُ) يدل على

٤- سورة الإسراء:الآية ٤٤.
٥- سورة فصلت:الآية ٢١.

الاستمرار والتجدد، ومعنى الصدور هو انصراف الإبل عن الماء بعد الشرب منه، ونفس المجيء للشرب يسمى وروداً، أما عن كيفية حال الناس فيحدثنا القرآن بأنهم يُبعثون من قبورهم ويُحشرون ﴿أَشْتَاتًا﴾ وهو جمع لـ(شتيت) وهو المتفرق، فالناس يحشرون من قبورهم جماعات متفرقين، كما كانوا في الدنيا متفرقين من حيث الإيمان والكفر والنفاق، أو التفرق في إتباع أئمة الهدى أو أئمة الضلال ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾[6]، ويذكر القرآن علَّةَ هذا الصدور والتفرق وغايته ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾، ورؤية الأعمال قد يُفسَّر بالجزاء على العمل، أو رؤية صحائف الأعمال، أو رؤية نفس الأعمال، بمعنى تجسم الأعمال، ومن الممكن الجمع بين الثلاثة، بأن يرى العبد صحيفة عمله ويتجسد له نفس عمله وهو نفسه يكون جزاء له، وحتى لا يخطر بالبال، أن الأعمال الكبيرة والخطيرة هي التي يراها العبد آنذاك، ولا تشمل الرؤية العمل الصغير يقول القرآن ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ومعنى مثقال ذرة على أي تفسير هو كناية عن صغر العمل وضآلته، لكن مع ذلك فهو يُرى هذا في جانب الخير، وهناك نفس الوعد في جانب الشر ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾، فالعامل يرى في ذلك اليوم عمله صغيراً أو كبيراً، خيراً أو شراً، فليعمل الإنسان ما شاء فإنه يراه ويُجزى به.

٦- سورة الإسراء:الآية٧١.

إنفاق .. وإنفاق

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤) وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)

حثّ القرآن الكريم على الإنفاق حثاً شديداً، ومثل ذلك في سُنة المعصومين ﷺ، وقد شمل الحديث كل جوانب الإنفاق وكيفيته ونيّته وموانع قبوله وعوامل إبطاله وغير ذلك، ومن عوامل الإبطال المنصوصة في القرآن ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ﴾، والإبطال يعني عدم استحقاق الثواب رغم بذل المال ورغم كون البذل في سبيل الله أيضاً، لكن يرافقه ويصاحبه معاملة الفقير المُعطَى له ﴿بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾، ويساوي القرآن بين هذا المنفق وبين المرائي الذي لا يؤمن بالله واليوم الآخر ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، فلو كان الإنسان يؤمن بهذين الأصلين لا ينحدر إلى هوة مراءاة الناس، فهو لن يعمل العمل الصالح حتى يراه الناس، ثم يضرب القرآن مثلاً لذلك ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ﴾، والصفوان هو الحجر الصلد الأملس، فهو من الداخل متصلب متحجر أما ظاهره فهو يبدو رقيقاً، واختلاف الباطن والظاهر من علامات الرياء، وهذه الحجارة يعلوها التراب فلا ينفعه المطر وإن كان شديداً فغاية ما يحدث أن يزيل التراب وتبقى صلابة الحجارة ﴿فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ فلا نتيجة لعملهم أولاً، بل يَتَرقّى القرآن بوصفهم بالكفر، الذي لا يستحق صاحبه الهداية الإلهية، وفي مقابل هؤلاء المراؤون، هناك المخلصون في الإنفاق والذين يطلبون مرضاة الله سبحانه وتوطين النفس وترويضها على طاعة الله، فمن تسمح نفسه ببذل المال في سبيل الله يكون أسلس انقياداً في الأمور الأخرى، لأن المال محبوب للإنسان، ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ والجنة في هذا التمثيل هي البستان الكثير الشجر، وسمي (جَنَّة) لأن الأشجار تجنُّه (تستره)، وسمي الجن بهذا الاسم لاستتارهم، وهذه الجنة بهذه الأوصاف على مرتفع من الأرض، مما يزيد في جمالها ويُنقي هواءها، ويُنمي ثمارها، وتكون أبعد عن عوامل ضرر الأشجار كالمياه العفنة أو غيرها، وهذه الجنة تستفيد من الغيث قليله أو كثيره فإن ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾، والوابل هو المطر الكثير فتكون نتيجة ذلك مضاعفة الأكُل جمع أكله وهو ما يؤكل من الشيء، أما إذا أصاب هذا البستان المطر القليل لم يتضاعف الأكل، لكنه موجود على كل حال ﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾، والطل هو المطر الضعيف فرغم أنه لا ينتج الضعف لكنه ينتج، وتختم الآيتان بوصف الله سبحانه ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فكل أعمال العباد ومنها الإنفاق معلومة عنده بدوافعها إن كانت لله خالصة، أو يشوبها رياء، ومدى درجة الإخلاص عند أهله، ونتيجة ذلك استحقاق الثواب والعقاب على علم الله بذلك، ففيه تحذير إلى أن يكون عمل الإنسان خالصًا من الرياء، وفيه بشارة لمن كان عمله ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾.

اكتشاف أقدم أجزاء معروفة من القرآن الكريم

يضع حداً لتاريخ هذا النص المقدس

ترجمة: رياض عبد الغني الحسن

بالنسبة للمسلمين في العالم الذين يبلغ تعدادهم ١,٦ مليار مسلم، لا تعد مسألة كون القرآن من النصوص التي يعود تاريخها إلى القرن السابع، والتي نشرها مؤسس الدين الإسلامي النبي محمد ﷺ خبراً جديداً ولا هي مسألة خلافية على نحو خاص، إلا أن تاريخ هذا النص المقدس في المؤسسات العلمية أمر يكتنفه الغموض، فالباحثون في الدراسات الإسلامية يجدون الأدلة التي تؤرخ عمر القرآن بعصر ظهور الإسلام أدلة محيرة، وقد أدى ذلك الأمر إلى نشوب مناظرات محمومة بشأن وقت ظهور القرآن إلى الوجود ككتاب مقدس، حيث تدعي مجموعة صغيرة من العلماء أن الكتاب هو نتاج ظهر بعد العصر الذي جمع فيه، أو حتى نقله مشافهة بكثير (أواسط القرن الثامن وما بعده) عندما قام علماء العصر العباسي بالدفاع عن الفكر الديني الإسلامي وتوسيع نطاقه، إن الدراسات الحديثة التي جرت على أجزاء مخطوطة من القرآن مثل تلك التي اكتشفت في صنعاء- اليمن عام ١٩٧٢م قدمت لنا أقساماً من النص القرآني أرخه الكربون المشع على أنه بضع سنوات بعد جمع القرآن وإصداره رسمياً من قبل أحد خلفاء محمد الأوائل وهو عثمان بحدود العام ٦٥٠م، غير إنه لم يتوافر من الأدلة القطعية إلا القليل ليحسم مسألة تاريخ النص من حيث كونه قد أخذ من منظور تعبُّده أو أكاديمي.

اكتشاف جديد

يبدو أن تلك الصورة قد تغيرت بين ليلة وضحاها، هناك قطعتان من القرآن لم يعلم أحد أنها كانت منذ عام (١٩٣٦)م بحوزة جامعة (برمنغهام) ضمن مجاميع مخطوطاتها وقد حددوا تاريخهما على أنهما تنتميان إلى عهد حياة النبي محمد ﷺ أو ما بعدها بقليل، وقد قُدِّر تاريخ الكتابة الموجودة على الرقعتين التي تمثل نصوصاً لسور الكهف ومريم وطه كما هي مثبتة في المصحف المعاصر، أنها تعود لفترة تنحصر ما بين عامي (٥٦٨ - ٦٤٥)م، وهي الفترة المقاربة جداً للتاريخ التقليدي المعروف للدعوة النبوية ما بين (٦١٠ - ٦٣٢)م، وبعد أن سجلت الدقة في تاريخ الكربون المشع نسبة تزيد عن ٩٥٪، عندما أُجري الاختبار في وحدة معجل الكربون المشع في جامعة (أوكسفورد)، أشر هذا الاكتشاف أن تلكما الرقعتين على الأرجح معاصرتان لزمن النبي ﷺ نفسه، ولا غرو أن جامعة (برمنغهام) والمدينة نفسها بمن فيها استقبلت ذلك الخبر بفرح وبفخر كبيرين، ويبدو أن عدالة السماء قد أنصفت مدينة تؤوي مجتمعاً من أكثر المجتمعات تنوعاً في الثقافة في العالم (والتي تصفها قناة (فوكس نيوز) الإخبارية دونما تهكم بأنها "المنطقة المنبوذة" بالنسبة لغير المسلمين، فأصبحت على أثر ذلك الحدث مكة الحقيقية في استقطابها للمسلمين وغيرهم المتلهفين للنظر إلى صحائف عمرها ١٤٠٠ عاماً، عليها خط مقروء واضح وجميل.

التردد في التثبت من الخطوط

سيكون بالتأكيد لهذا الاكتشاف من يناوئه، وهم بلا شك على صنفين، الصنف الأول من أولئك المؤرخين ممن يتوقف بل ويشكك بدقة التواريخ باستخدام الكربون كأداة لتقديم الدليل، وبالجملة نجد أن علم دراسة الخطوط القديمة وعلم تحديد التواريخ باستخدام تقنية الكربون قد عملا جنباً إلى جنب في تقديم صورة أوضح من السابق للوقوف على حدود الأزمنة التاريخية لمواد نصية متنوعة تعود للتاريخ القديم وتاريخ العصر الوسيط، غير أن المؤرخين الذين درسوا علم الخطوط القديمة أو فقه اللغة المقارن غالباً ما يجدون التاريخ الذي تقدمه تقنية الكربون في التاريخ أقدم من الحقيقة ويعتقدون بعدم جدواه، لقد حصل في مرات عديدة أن تحدد تقنية الكربون إطاراً زمنياً يبقى موضع شك من جانب دراسة اللغة لنص من النصوص (عند دراسة لهجة من اللهجات أو مصطلح معين) وهو ما أصطلح عليه أنا بـ(الدليل العرضي) أي ما نصل إلى معرفته من خلال التواريخ المدونة أو من بقايا الآثار بشأن انتشار النصوص المكتوبة والأفكار، فقد قال العالم الفرنسي (فرانسوا ديروتش) مثلاً في عام (٢٠١٤)م بأنه يظهر أن تقنية التاريخ باستخدام الكربون تعطي تأريخاً أقدم بالنسبة للمصاحف التي تعود للعصر الأموي (٦٦١-٧٥٠م) التي أخضعها للفحص، والحقيقة أن تلك الفروقات تعزى إلى أن تقنية التاريخ باستخدام الكربون تعطي تقديراً معقولاً لمتوسط تاريخ الكتابة؛ فتعطي مثلاً تأريخ وفاة الحيوان الذي استخدم جلده في الكتابة، وليس تاريخ الكتابة عليه نفسها، بيد أن الاستخدام الواسع الانتشار لتقنية تحديد التواريخ للقطع الأثرية والنصوص القديمة

ونصوص العصر الوسيط تشهد على أهميته كأداة فاعلة في تثبيت تواريخ في حدود معقولة لتلك الآثار.

المشككون المعاندون

أما المجموعة الثانية التي تجد مثلبة في هذا الاكتشاف فهم الكُتَّاب الذين لا يعدون الإسلام في نظرهم أكثر من مجموعة من الأفكار والقيود التي وضعت في عصر متأخر جداً (ما بعد الفتوحات) مع الإيهام بأن تاريخه يعود إلى القرن السابع.

فلهؤلاء المشككين المعاندين، قد لا نجد دليلاً تاريخياً يكفي لزحزحة قناعاتهم، ويأتي تجاهل تلك الأصوات للاكتشاف الجديد هذا، ضمن المؤامرة العالمية لتجريد النص الإسلامي من المصداقية التي يستحقها، ولكن في نظر المؤرخين الأكاديميين الذين أرخوا للعهد الأول من الإسلام، فيعدّ ثبات النص القرآني قديماً من المسلَّمات المعدودة التي اتفقت عليها شريحة واسعة من العلماء، فما قالته المؤرخة (باتريشيا كرون) التي توفيت مؤخراً، وهي خبيرة مرموقة في الشؤون الإسلامية القديمة والوسطى: "نحن واثقون إلى حد بعيد أن القرآن هو مجموع الألفاظ التي تلفظ بها محمد ﷺ بما يعتقد أنها من وحي الله تعالى... لكنه أي النبي محمد ﷺ غير مسؤول عن الطريقة التي رتبت بها تلك الألفاظ، فلقد جرى جمعها بعد وفاته؛ لكن الخلاف يكمن في المدة الزمنية الفاصلة (بين النطق بها وبين جمعها)، وتلك كانت النقطة الأخيرة من الخلاف التي حسمها الاكتشاف الذي جرى في مدينة برمنغهام، فتلك كانت بشكل واضح آيات قرآنية جرى تدوينها خلال حياة النبي أو بعد وفاته مباشرة بعد أن قورنت بنسخة المصحف الذي بين أيدينا اليوم. وعليه فقد كان ذلك سبباً قوياً يجعل المؤرخين المهتمين بالعهد الأول للإسلام فرحين، فضلاً عن كونهم مقتنعين بصحة هذا الاكتشاف.

المصدر: من موقع سي أن أن الإخباري / بقلم: د. فوزية بورا / أستاذة تدريسية في التاريخ الإسلامي والشرق أوسطي في جامعة ليدز البريطانية

القارئ محمد فاروق أبو الخير

بين قيثارة السماء والصوت الخاشع

رعد عبدالله التميمي

البطاقة الشخصية

محمد فاروق محمد السيد أحمد أبو الخير، ولد في مدينة سيدي سالم التابعة لمحافظة كفر الشيخ الواقعة شمال جمهورية مصر العربية في ١٩٨٠/٤/١م، حاصل على بكالوريوس /علوم إسلامية / قسم أصول الدين / شعبة الحديث / جامعة الأزهر الشريف.

بدايته القرآنية

بدأ محمد أبو الخير كأي موهوب مشواره القرآني منذ سن مبكرة جداً عندما بانت عليه علامات حب القرآن الكريم وتلاوته بصوت حسن وجميل في أوائل عمره، أخذه والده إلى أحد أساتذة الحفظ والتلاوة ليتم حفظ القرآن كاملا على يد الشيخ السيد أحمد الطنطاوي، وعنده من العمر عشر سنوات، وبذلك يسجل ما وضعه الكبار في سجلهم القرآني الحافل، والذي يبدأ بحفظ كتاب الله في أوائل سنين العمر، وطبعًا تعلم على يد الشيخ المحفظ أحكام التلاوة والتجويد والوقف والابتداء، بل أجازه بالقراءة والإقراء برواية حفص عن عاصم الكوفي، ثم ذهب ليجدد الدرس مرة أخرى ليكون متقناً وضابطاً لجميع الأحكام بشكل مميز،

فجلس تحت منبر تعليم الشيخ محمد إبراهيم مغازي، والذي نال استحسانه والثناء عليه، ممـا دعـاه أن يجيـزه بروايـة حفص عن عاصم الكوفي.

درس التنغيم القرآني

يعتقد الكثير أن القرَّاء السابقين من عمالقة التلاوة دخلوا دروساً ممنهجة كما هو السائد والمعـروف في العراق، إلا أن الحقيقة التي جرت على لسـان أكثر من واحد منهم، كما دعـم هذا القول ضيفنا الشـيخ أبو الخير أن الدرس النغمي الممنهج ظهر مؤخراً، وكان في السـابق يتعلم القـرّاء موضوعة التنغيم سماعياً فتحفظ لديهم، وبعد ذلك تتم الإشارة إلـى أسـماء كل واحد منها لتكـون معروفة لإتمام طريقة الانتقـال والتعبير عن الآيات القرآنية بشـكل يتناسـب وموضـوع الآية، حتـى جاء وقـت الـدرس الأكاديمـي على يد بعـض الأسـاتذة أمثال الشـيخ الهلباوي والشـيخ القـارئ قطـب الطويل والأسـتاذ مصطفى كامل والأسـتاذ طـه عبد الوهاب الـذي أخذ ضيفنا على يديه بعض الدروس، والتي رسمت له خارطة الاحتراف والتألق.

لون التلاوة

يعـد لون التلاوة واحداً من الأمور المهمة بالنسـبة لأي قـارئ يحاول النجـاح بمهمته كداعيـة قرآنيـة باهرة كما سـلف من قرَّاء ذلـك العصـر الجميـل أمثال الشـيخ محمد رفعت، والشيخ مصطفى إسماعيل، والشيخ المنشاوي، وغيرهم من أعلام دولة التلاوة، الذيـن أصبحوا من المـدارس العريقة التي يتحتـم علـى كل مبتدئ أن يمر بهـم متأثراً بلونهـم الإقرائي ليكمل ما بـدؤوه، كما هو حال الشـيخ أبو الخير الـذي جمع بين لون مدرسة الشيخ محمد رفعت، ومدرسة الشيخ محمد صديق المنشـاوي، وهذا الترتيب إن دل علـى شـيء فإنما يـدل علـى أنه وقف علـى أهم المـدارس التي تعنى بالخشـوع، والإحسـاس والتدبـر، فكان ذلك هو السـر الأكبر لبلوغه ضفة النجاح.

ارتقاؤه منبر التلاوة

كان أول ارتقائـه منبر التلاوة في مسـجد البلدة يوم الجمعة عام (١٩٩٩م)، والتي تعد بالنسـبة له مفتاح النجاح خصوصاً في مثل ذلـك اليوم الذي يجتمع فيه غالبية أهل البلدة لصلاة الجمعة، ومن هنا بدأ رحلته القرآنية محترفاً يجيد التنقل بين قيثارة السماء الشيخ محمد رفعت، والشـيخ المنشـاوي صاحب الصوت الخاشع، مما زاد إعجاب الجمهور بهذه الطريقة الجميلة، لذا سـرعان ما انتشر في ربـوع محافظة كفر الشـيخ، ومنها إلى المحافظـات الأخـرى لإحياء المآتـم، عُيِّن إماماً وخطيبًا من قبـل وزارة الأوقاف عام (٢٠٠٢م) فـي مسـجد محلـة داود الغربي بمركز الرحمانية التابع لمحافظة البحيرة.

دخوله الإذاعة

تعتبـر الإذاعة في السـابق والحاضر من أهم الأمـور التي يعتني ويسـعى لها القرَّاء سـعياً حثيثـاً، وذلـك لأمـور تتعلـق بحفظ التاريـخ القرآني لكل قارئ، لذا تقدم القارئ الضيـف للإذاعـة عـام (٢٠١٢م)، فحظي بتأشـيرة الدخـول من قبـل لجنـة الاختبار المؤلفة من شـيخ المقارئ المصرية الشـيخ المعصـراوي، والشـيخ عبـد الحكيـم عبد اللطيف، وغيرهما من الأسـتاذة المعروفين بالضبط والإتقان، وله تسـجيلات عدة سيما مـا يُبث علـى الانترنت من تـلاوات رائعة وجميلة جعلته محض اهتمام عشـاق القرآن الكريم ، سـافر الـى بعض الـدول العربية ليتلوا كتاب الله بصوته الشجي.

كلمة حرة

إن مـا قدمـه القـرَّاء الكبار من أسـاطين التـلاوة كفيـل بالشـباب أن يحـذوا حذوهم ويتأثـروا بهم، وإني لأعتبـر كل تلاوة من هذه التلاوات درسـاً عملياً يسـتحق كل ثناء وتقدير، وعليه كلمتي للشباب المبتدئين، هي لابد على كل قـارئ أن يرعى الله في تلاوة كتابـه فيما يقـرأ ويَتمعَّن فيـه؛ لأنه ما ترك مـن صغيـرة أو كبيرة إلا أحصاهـا، فلابد مـن إتقان الحفظ، والمداومـة على الدرس، والإكثـار من السـؤال، لأنـه مفتـاح العلم وطريق النجاح.

أما مجلة (ق والقرآن المجيد) هذه المجلة المعطاء التي عبـرت حدود الأنظار لتصل إلـى القلـوب وإنها لمـن دواعـي الفخر أن تكون لقرآنيي العالم مجلة كهذه تعنى بشأنهم على سـبيل تقديـم المعلومة القرآنية سـيَّما اللقاءات التي تروم تعريف العالم الإسلامي بنبذه من قـرَّاء القرآن الكريم سَـواءً أكانوا مشاهير القرَّاء، أو غيرهم من الشباب، فكل مـا أقول بحقها قليل، سـائلين الله تعالى لها، ولجميع العاملين فيها دوام التوفيق والسـداد إنه سميع مجيب.

المنهج القرآني الثالث

لعلاج نشوز الزوجة

رغد عزيز

ما زال محور حديثنا يدور حول نشوز الزوجة وعلاجه في القرآن الكريم، حيث وضع كتاب الله المجيد بين يدي الزوج الطرق المثلى لعلاج نشوز زوجته والقضاء عليه ألا وهي (الوعظ والهجر والضرب)، كما ورد في قوله تعالى: ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلاَ تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾[1]، وقد وصلنا مناقشة ثالث الحلول (وَاضْرِبُوهُنَّ).

إن إباحة ضرب الزوجة لم يأتِ بصورة تتنافى مع تكريم المرأة وحفظ كرامتها اللذين ما برحت الشريعة الإسلامية تؤكد عليهما في كل تفاصيلها، وإنما جاء كوسيلة ردع وتنبيه وهذا وارد يتقبله العقل، حيث جعلت الشريعة لكل ذنبٍ يرتكب وسيلة لردع صاحبه، ومما يوثق ذلك أن الله جل وعلا قيّد إباحة ضرب الزوجة بوجوب تحقق نشوزها الذي (يظهر بقول وفعل، أما القول فمثل أن كانت تلبيه إذا دعاها وتخضع له بالقول إذا كلمها، فامتنعت عن تلبيته وعن القول الجميل عند مخاطبته، والفعل مثل أن كانت تقوم إليه إذا دخل عليها وتبادر [إليه] إذا دعاها ثم تركت ذلك فصارت لا تقوم ولا تبادر، بل تصير إليه بتكره ودمدمة ونحو هذه، فهذه دلائل النشوز)[2]، دون غيره من الأسباب، إذ لم يذكر على الإطلاق سبباً غيره يبيح الضرب، ومتى ما خرج الضرب عن هذا القيد فقد خرج عن الإباحة وصار إثماً يحاسب عليه فاعله هذا من جانب، ومن جانب آخر أن للضرب ماهية خاصة ـ فهو لا يعني الضرب المبرح كما يتصوره البعض ـ وقد بينه العلماء على نحوين، الأول الضرب بنفس الفعل، أي يكون عقاباً من جنس العمل (إذا نشزت المرأة، حل ضربها بنفس النشوز دون الإصرار عليه)[3]، (إذا نشزت المرأة، حل ضربها بنفس النشوز دون الإضرار)[4]، ومنهم من حقق فيه المعنى المتعارف عليه للضرب مبيناً كيفيته حيث يذكر السيد الطباطبائي في تفسير الميزان (عن أبي جعفر عليه السلام: أنه الضرب بالسواك)[5]، وقال فيه العلامة محمد جواد مغنية (ضربًا خفيفاً لمجرد الردع، إن تك المرأة شريرة مستشرية لا يكبح جماحها وحمقها إلَّا الضرب، وفي شتى الحالات فإن الأمر هنا رخصة لا عزيمة، واتفق الفقهاء أن ترك الضرب أولى)[6]، وهذا يطابق لقوله صلى الله عليه وآله (أيما رجل ضرب امرأته فوق ثلاث، أقامه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فيفضحه فضيحة ينظر إليه الأولون والآخرون)[7]، ومن النكات اللطيفة التي وقعت في صدد ضرب الزوجة قصة النبي أيوب عليه السلام وضربه لزوجته حين غضب منها حيث يروى فيما جاء في قوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾[8]، (وذلك أنه حلف على امرأته لأمر أنكره من قولها إن عوفي ليضربنها مائة جلدة، فقيل له: خذ ضغثاً بعدد ما حلفت فاضربها به دفعة واحدة، فإنك إذا فعلت ذلك بررت يمينك ولم تحنث)[9]، ومعنى الضغث كما يذكر صاحب الكتاب أنها بالكسر والفتح قبضة الحشيش المختلط رطبها ويابسها، ويقال: ملء الكف من القضبان والحشيش أو الشماريخ [مجموع العيدان في عذق التمر]، ومن هنا ندرك أن هذا المنهج يمتاز بشيء من الخصوصية أكثر من سابقيه، وذلك لكونه قد انتهج فيه بعض الأزواج شريعةً ما أنزل الله بها من سلطان، من حيث اتخاذهم من الضرب ردة فعل لأي خطأ يصدر من الزوجة، ناهيك عن جعله وسيلة لتفريغ غضبهم والتخلص من نوباتهم العصبية لأي سببٍ كان لم تكن الزوجة جزءاً منه، وبكلا الأمرين قد أخرجوا أنفسهم من دائرة المباح إلى الحرمة وغضب الرب فقد جاء في الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: (فأي رجل لطم امرأته لطمة، أمر الله عز وجل مالكاً خازن النيران فيلطمه على حر وجهه سبعين لطمة في نار جهنم)[10]، إذاً فما عني يفي الآية الكريمة؟

وخلاصة القول: إن الله تعالى قد أباح للرجل أن يأتي بالضرب أو يتركه، وقطعاً تركه أولى، وكما أشار إليه علماؤنا الأفاضل، فقد يأتي الضرب في بعض الأحيان بنتيجة عكسية خصوصاً وأن المرأة في حالة نفور وتمنُّع.

١- سورة النساء: الآية ٣٤.
٢- المبسوط، الشيخ الطوسي: ٤/ ٣٣٧.
٣- الخلاف، الشيخ الطوسي، ٤/ ٤١٥.
٤- المؤتلف من المختلف بين أئمة السلف، الشيخ الطبرسي، ١٧٧/٢.
٥- الميزان في تفسير القرآن، السيد الطباطبائي، ٣٤٩/٤.
٦- التفسير المبين، محمد جواد مغنية، ص ١٠٦.
٧- مستدرك الوسائل، ٢٥٠/١٤.
٨- سورة ص: الآية٤٤ .
٩- مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ٤٧٠/٦.
١٠- مستدرك الوسائل، ميرزا حسين النوري الطبرسي، ٢٥٠/١٤.

العقل ضوء الروح

غفران كامل كريم

من مميزات الإسلام إنه دين العقل والتعقل ودين النظر والتفكر، إذ دعا دستوره أي القرآن في غير مرة إلى الركون للبرهان الذي يستند إلى العقل ومبادئه ومعطياته، لأنه الأجدر والأوثق في الإرشاد إلى صالح الطريق، حتى اقتضى المنهج الإسلامي اعتماد العقل والاستدلال العقلي في توضيح وتبيان الحقائق للناس؛ لأنه على قدر من المتانة والرصانة بحيث لا يمكن أن يتسرب إليه طعن، أو يشوهه شك، أو يشوبه خلل، أو ينفذ إليه ريب، لذلك احتفى كتاب الله بالعقلاء، فما أجمل قوله تعالى في هؤلاء: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ*الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[1]، وقال أيضاً: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[2]، كما طالب المعارضين والمزيفين بإيراد الدليل وإلقاء الحجة تدليلاً لما ادعوه، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[3].

فالقرآن يعتبر الحياة الإنسانية ما هي إلا حياة فكرية بامتياز، وكأن العلاقة بين الاثنين هي علاقة طردية فكلما كان الفكر أصح وأقوم كانت الحياة أهنأ وأسعد، فدور العقل كبير في سعادة أو شقاء بني البشر، فقد نقل القرآن الكريم كلام أهل جهنم الذين لم يستعملوا عقلهم، فكُتِبَ عليهم الشقاء الأبدي: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[4]، وأيضاً عنه تعالى: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾[5]، فبيَّنَ تعالى أن الإنسان يستحصل نجاته عن طريق عقله وإدراكه، ولو تتبعنا خطاب القرآن الكريم للناس لوجدنا كثرة كثيرة من آياته نطقت بدلائل عقلية ملموسة، تطلق العنان للتفكر والتدبر والتأمل في أبعاد هذا الكون الفسيح حتى يقتنص الإنسان الحقيقة الهادية التي تمنعه وتعصمه من الانزلاق بالهاوية، وتقربه أكثر فأكثر من الإيمان بالله تعالى، وكأنها دعوة إلهية مفتوحة لطلاب الحقيقة على مأدبة الفكر الصحيح، يقول تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ*إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[6]، وقال أيضاً: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[7]، وفي موضع آخر يقول سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاء مَاء فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[8]، وتلك الأمثال التي يَسَّرها لنا تعالى لا يستوعبها ولا يهضمها إلا أصحاب العقول الناضجة، وهذا ما نراه في ضوء الآية الكريمة التي قالت: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾[9].

هكذا نرى أن النهج القرآني جعل العقل شاخص التمييز ما بين الحق والباطل، بل هو البوصلة التي تحدد الاتجاه الصحيح عند اختلاط الاتجاهات يميناً وشمالاً، شرقاً وغرباً، فله السطوة في تشخيص وفرز العقائد الصحيحة من الفاسدة، وهذا هو عين ما قصده شريك القرآن إمامنا الكاظم عليه السلام عندما قال: (إن ضوء الروح العقل، فإذا كان العبد عاقلاً كان عالماً بربه، وإذا كان عالماً بربه أبصر دينه)[10].

١- سورة الزمر: الآيتان١٧-١٨.
٢- سورة الزمر: الآية٩ .
٣- سورة النمل: الآية٦٤.
٤- سورة الملك: الآية١٠.
٥- سورة الأنبياء: الآية٦٧.
٦- سورة البقرة: الآيتان١٦٣ -١٦٤.
٧- سورة النحل: الآية١٢.
٨- سورة الروم: الآية٢٤.
٩- سورة العنكبوت: الآية٤٣.
١٠- ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ص٢٦٩.

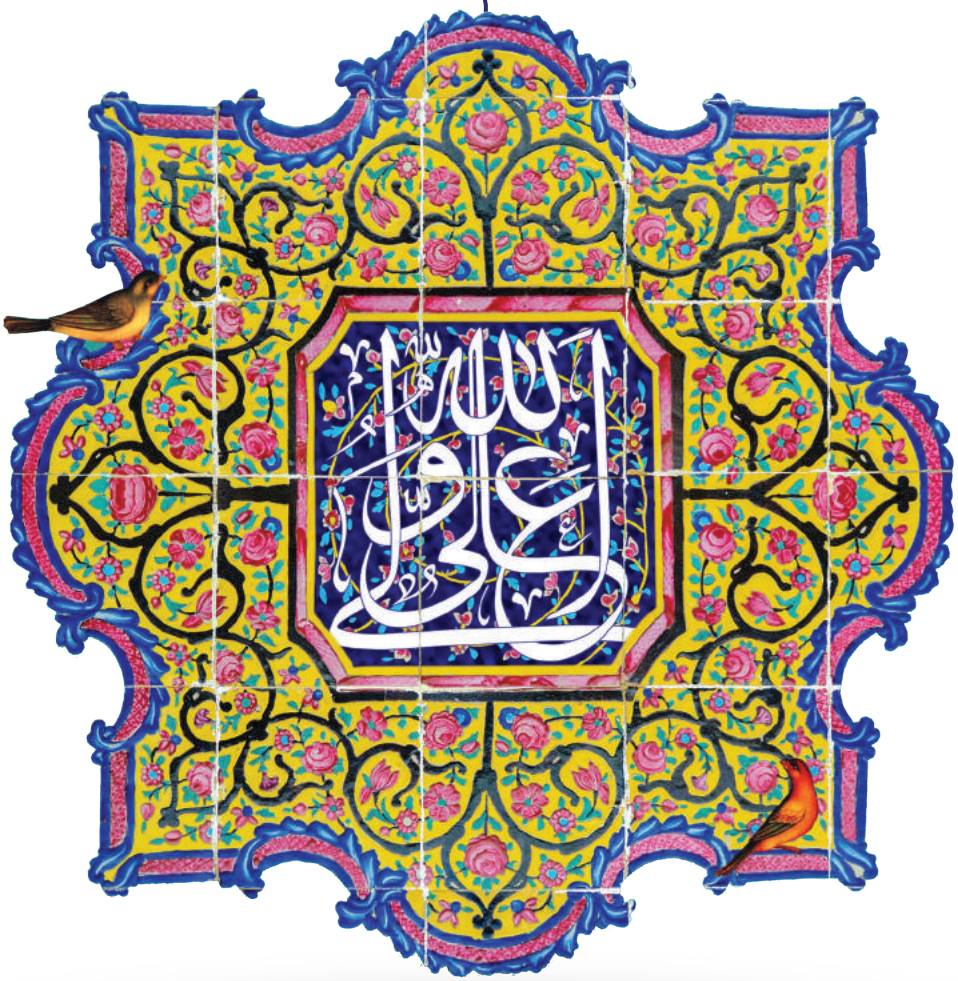

ما قاله القرآن في علي عليه السلام

قل في ثناء علي ما شئت فلست مغالياً مهما قلت، ومهما وصفت، ما دام القرآن قد سبقك إلى إطرائه وثنائه، صادحاً بحقه، مادحاً لفعله، مبيناً لآلائه وفضله، مقدماً إياه على من سواه، فمن تدبر القرآن وفهم آياته ونظر وأمعن في محكمه ومتشابهه وفي عامه وخاصه ومطلقه ومقيده وحقيقه ومجازه، ألفاه شاهداً على تقديمه وتعظيمه في كل موطن وموقف، فكثير من سور القرآن تشمُّ فيها عطر علي عليه السلام، وقد تبارت على مدحه عليه السلام في كل حركاته وسكناته

سمير جميل الربيعي

فآية تصدح مبينة كيف يحافظ على صلاته: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾[1]، فقد جاء في أكثر من مصدر من الكتب المعتبرة أن هذه الآية الكريمة جاءت في مدح أمير المؤمنين عليه السلام[2]، وإن قيل: إن معنى الآية دال على العموم والاستغراق وينضوي تحتها كثير من المصاديق والأفراد كما ذهب إلى ذلك كثير من المفسرين، منهم ابن مسعود الذي ذهب إلى القول بأنها مخصوصة بالذين يحافظون على المكتوبات (الصلوات المفروضة)، ولو سلمنا بما قال قلنا كان عليٌّ سيد هؤلاء، فهل مثل عليٍّ عليه السلام من حافظ على صلاته، ولم يفوّت فضيلتها أبداً، حتى

١- سورة المعراج: الآية ٢٢، ٢٣.
٢- مناقب آل أبي طالب، ابن شهر آشوب، ٥٩/٣، بحار الأنوار للمجلسي، ٨٤/٢٩.

في أحلك الظروف والملابسات وحتى في أشد ساعات الاحتدام عند المعارك، فكان يبسط له النطع بين الصفين ليلة الهرير فيصلي عليه والسهام تقع عليه، ولا يبالي، ولا يرتاع قلبه، ولا يقوم حتى يكمل صلاته، وهناك رأيٌ آخر لعقبة بن عامر[٣] الذي ذهب إلى أن المعنيين بهذه الآية هم الذين لا يلتفتون عن أيمانهم وشمائلهم في الصلاة، والحق لو حملت هذه الآية على هذا المعنى كان علي عليه السلام على رأس المعنيين بها، فقد كان ينقطع عن عالم الحس ويتصل بعالم القدس لانجذاب نفسه إلى ملاحظة عظمة ربه، فيقف كالخشبة اليابسة في حديقة بني النجار، لا يشعر بشيء من حوله، ولقد كان المقربون منه يستغلون وقت صلاته لينزعوا عنه النصول وبقايا السهام وشظايا السيوف من جسده وهو لا يشعر بألمها، أما ما قاله ابن جبير في أن المعنيين بهذه الآية هم الذين يكثرون فعل التطوع[٤]، وفي هذا المضمار لا يجاريه أحد، فمنه تعلم الناس صلاة الليل، وملازمة الأوراد، وقيام النافلة، وما ظنك برجل كانت جبهته كثفنة البعير من كثرة السجود والاجتهاد بالعبادة، فقد جاء في الخبر أن زين العابدين وسيد الساجدين الإمام علي بن الحسين عليه السلام، (طلب من ولده الإمام محمد الباقر عليه السلام أن يعطيه بعض الصحف التي فيها عبادة علي بن أبي طالب عليه السلام فأعطاه تلك الصحف، فقرأ فيها شيئا يسيرًا ثم تركها من يده تضجرًا وقال : من يقوى على عبادة علي عليه السلام)[٥]، انظر إلى طاقة هذا الرجل في العبادة التي لا يقوى عليها حتى الإمام علي بن الحسين عليه السلام الملقب بالسجاد لكثرة سجوده وتعبده، وتنقلنا آية أخرى إلى بحبوحة قنوته ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾[٦]، مادحةً دعاءه وانقطاعه إلى الله آناء الليل وفي السحر، مفضيةً عن إجلالٍ كبير لهذا العبد الصالح[٧]، وحق له ذلك فمن شرعته أخذ الناس مزامير الدعاء، ومن مدرسته تعلموا أساليب الإنابة إلى الله، يقول عروة ابن الزبير: (تذاكرنا صالح الأعمال فقال أبو الدرداء: أعْبَد الناس علي بن أبي طالب سمعته قائلاً بصوت حزين ونغمة شجية في موضع خال: إلهي كم من موبقة حلمتها عني فقابلتها بنعمتك، وكم من جريرة تكرمت علي بكشفها بكرمك، إلهي إنْ طال في عصيانك عمري وعظم في الصحف ذنبي فما أنا مؤمل غير غفرانك، ولا أنا براجٍ غير رضوانك، ثم ركع ركعات فأخذ في الدعاء والبكاء فمن مناجاته: إلهي أفكر في عفوك فتهون علي خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم علي بليتي، ثم قال: آهٍ إنْ أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها فتقول خذوه فيا له من مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته، يرجمهم البلاء إذا أذن فيه بالنداء، آهٍ من نار تنضج الأكباد والكلى، آهٍ من نار نزاعة للشوى، آهٍ من غمرة من ملهبات لظى، ثم أنعم عليه السلام في البكاء فلم أسمع له حسّاً، فقلت: غلب عليه النوم، أوقظه لصلاة الفجر فأتيته فإذا هو كالخشبة الملقاة، فحركته فلم يتحرك، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون مات والله علي بن أبي طالب، قال: فأتيت منزله مبادرًا أنعاه إليهم، فقالت فاطمة عليها السلام: ما كان من شأنه؟ فأخبرتها، فقالت: هي والله الغشية التي تأخذه من خشية الله تعالى، ثم أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق...)[٨]، ولصومه آية تتردد على إلسنة الناس حينما يغدون ويمسون ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾[٩]، فقد مدحت هذه الآية علياً عليه السلام وأهل بيته بما صبروا على مشاق الصوم وتحمل شدته لثلاثة أيام متواصلة لم يذوقوا فيها طعم الأكل، إيثاراً منهم في بذل قوتهم للمسكين واليتيم والأسير، ثم إن أمير المؤمنين كان مجبولاً على حمازة الأشياء وتحمل شدتها، حتى قال عن نفسه: ما عرض لي أمران فيهما رضاً لله إلاّ واخترت أحمزهما على نفسي، أما الآية التي تناولت زكاته فتكاد تفخر على باقي الآيات لما أولها أمير المؤمنين عليه السلام من فعلٍ متفرد في هيئة صور خلابة ومضمون رائع للفخار، فمن يعطي الفقير المسكين خاتمه وهو راكع وفي غاية الاستغراق والانقطاع في طاعة ربه، ولعل قائلاً يقول هذا الفعل يوجب الفصل في الاستغراق وعلي عليه السلام قد انفصل عن استغراقه لحظة تصدقه بالخاتم، قال علماؤنا: إن ذلك من خصائص أمير المؤمنين فهو يجمع بين العبادتين وليس في فعله هذا تنافٍ مع حضور القلب أو انصراف عن عظمة الله سبحانه بل هو انصراف إليها[١٠]، فأوجد من فعله هذا طاعة تمخضت وانشقت عن طاعة، حتى لتعجب هذه الآية الكريمة الرائعة رغم صياغتها الإعجازية من هذه الصورة الإبداعية التي رسمها أمير المؤمنين وهذا الفعل المتكامل الذي جاء به :﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[١١]، وهناك صورة أخرى ترصدها آية أخرى يرسمها علي عليه السلام في مضمار التسابق إلى القرب الإلهي، ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، وحكاية هذه الآية أن أمير المؤمنين عليه السلام تصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهارًا وبدرهم سرًّا، وبدرهم علانية، فجمع بفعلٍ واحد كل أفراد التصدق، ثم لم يعقب ذلك مَنّاً ولا أذى ولا أراد من ورائه جزاءً ولا شكوراً بل أراد رضوان ربه، كما له في التصدق آية ما عمل بها أحد غيره ولا يعمل بها أحد بعده وهي آية النجوى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[١٢]، فلله درك يا أمير المؤمنين، يا إمام المتقين من راكع وساجد ومتهجد، ومن معطٍ ومفضٍ ومؤمن سبق بإيمانه كل السابقين فحباه القرآن بالامتياز وشملته الآيات بالذكر والثناء.

٣- عقبة بن عامر: أحد الصحابة الذين رووا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وهو من طبقة ابن عباس وابن مسعود.
٤- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، ٩٤/٨.
٥- الإرشاد / الشيخ المفيد ٢ / ١٤١، ١٤٢، باب ذكر أخبار علي بن الحسين، المستدرك / النوري، ٤ / ٤٦٦ ح ٥١٧٨ باب ١٧م، كتاب زين العابدين/ عبد الرزاق المقرم ٢٢٠.
٦- سورة الزمر: الآية ٩.
٧- ينظر إلى تذكرة الفقهاء، ط ج، العلامة الحلي، ٢٦٣/٢. منتهى المطلب، ط ق العلامة الحلي، ١٩٥/١. ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة، الشهيد الأول، ٢٩٢/٢.
٨- مسند الإمام علي عليه السلام، السيد حسن القبانجي، ١٠ /٣٧١.
٩- سورة الإنسان: الآية ١٢.
١٠- ينظر إلى الصراط المستقيم، علي بن يونس العاملي النباطي، ٢٦٤/١.
١١- سورة المائدة الآية ٥٥.
١٢- سورة المجادلة الآية ١٢.

﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾

بين العفو والانتقام

قال تعالى في كتابه الكريم: (فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِه)[1]
وقال تعالى في كتابه الكريم أيضاً: (وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ)[2]
وقال تعالى في كتابه الكريم أيضاً: (فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ)[3]

الحلقة الأخيرة

الشيخ عبد الجليل أحمد المكراني

إنّ من عظيم أخلاق المؤمن أن يقبل العذر من المعتذِر، ويصفح عن المتعمد للخطأ في حقِّه، وليس ذلك بواجب حتمي، ولكنَّه كمال أخلاق المؤمنين، فالعفو كالانتقام ممّا أنزله الله، و لكن العفو أحسن منه، وقد أمرنا القرآن ـ بالأمر الندبي ـ باتباع ما هو أحسن كما أمرنا بدرء السيئة بالحسنة لا بسيئة أخرى مثلها، ومدح الذين يدرؤون بالحسنة السيئة، حيث قال تعالى: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[4]، وأثنى على الذين يدفعون السيئة بالتي هي أحسن بأن ذلك مقام لا يناله إلا الصابرون، ومنزلة لا يبلغها إلا ذو حظ عظيم، حيث قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ* وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[5]، ويقول تعالى: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[6]، وكذلك يقول: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ﴾[7].

وإذا كانت إماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان، فما بال العفو عن إنسان، حيث يبدِّل خوفه أمناً، وضيقه فرجاً، ويأسه أملاً، فهو بذلك يدلُّ على الإيمان ويؤكِّده ويزيد فيه ويجدِّده، وإذا كان من كمال الأخلاق العفو والصفح عن المذنب والمسيء، فإنَّه في الوقت نفسه يكون من الكمال، بل من الواجب على مَن أخطأ في حقِّ أخيه أن يُبادر إلى الاعتذار له، طالباً منه العفو والصفح، فإنَّه بذلك يحقِّق مقاصد للشرع جليلةً من الألفة والمحبَّة، وإزالة البغضاء والحقد من القلوب، وجعل المحيط المجتمعي ودِّياً تسوده العلاقة المريحة مع الآخرين، فهو يجعل بذلك العدوَّ صديقاً، وبذلك يصير أقرب إلى ربِّه ممّا لو آثر نفسه وأخذته العزَّة بالإثم وأصرَّ على الاعتداء والخطأ، الأمر الذي يُساعد الطرف الآخر على الانتقام صارفاً نظره عن العفو والصفح.

وفي الاعتذار وطلب الصفح علاج للنفس من داء الكِبر والعجب، يقول ابن حبان: ((الاعتذار يُذهب الهموم ويجلي الأحزان، ويدفع الحقد ويذهب الصدَّ، والإقلال منه تستغرق فيه الجنايات العظيمة والذنوب الكثيرة، والإكثار منه يؤدِّي إلى الاتِّهام وسوء الرأي، فلو لم يكن في اعتذار المرء إلى أخيه خصلة تُحمد إلا نفي العجب عن النفس في الحال، لكان الواجب على العاقل ألاّ يفارقه الاعتذار عند كلّ زلة))[8].

والمسلم يقبل توبة المسيء المتعمِّد وطلبه للصفح والعفو، ولو غلب على ظنِّه عدم صدقه في اعتذاره، فعلى المخطئ المبادرة إلى التوبة وطلب الصفح بصدق وإخلاص، وعلى المساء إليه أن يصفح ويعفو. قال رسول الله ﷺ: (إذا أوقف العباد نادى مناد: ليقم من أجره على الله وليدخل الجنة، قيل: من ذا الذي أجره على الله؟ قال: العافون عن الناس)[9].

وعلى المخطئ المسيء في حقِّ أخيه ـ العامد وغيره ـ أن يسلك السبيل الأقوم في الاعتذار لأخيه الذي أخطأ في حقِّه، ويكون ذلك بتحقيق أمور:

١ـ المبالغة في الإخلاص لله تعالى في الاعتذار وجعله خالصاً لوجهه الكريم.
٢ـ الصدق في الاعتذار.
٣ـ اختيار المناسب من الأوقات عند أخيه المُساء إليه لتقديم اعتذاره.
٤ـ انتقاء الكلمات والمفردات المؤثِّرة التي تعبِّر عن المبالغة في الاعتذار.
٥ـ حمل ما تمكن أو تسيَّر له من الهدايا على نحو الأفضليّة اللائقة بحال المُساء إليه ويقدِّمها له بين يدي اعتذاره، فإن لم يتيسر له ذلك فيكثر من الدعاء له والثناء عليه.

بعد الاعتذار وطلب العفو والصفح يعمل الإنسان المُساء إليه الحكيم حكمته لكي يعرف متى يُعاقب بالمثل أو يعفو، إذ ليس دائماً يكون العلاج الصحيح والأنجح هو العفو على الرغم من كونه أحسن الكمالات، ومن فضائل الأخلاق، إلا أنَّ العفو أحياناً يُفسد الأمور بدلاً من أن يُصلحها، فالعفو والصفح يكونان مقدَّمَين في حال كانت إيجابياتهما أكثر من المعاقبة بالمثل أو الاقتصاص، وذلك يختلف باختلاف الأشخاص ونوع الإساءة، فهناك موارد يكون العفو والصفح فيها سبباً لجرأة المنحرفين، ولا شكَّ أنَّ العفو في كلِّ هذه الحالات والموارد لا يكون فضيلة أخلاقيَّة، بل ربَّما يكون حفظ نظام المجتمع والنهي عن المنكر والتصدِّي لمنع وقوع الجريمة يقتضي عدم التساهل مع المجرم وترك العفو.

ومن هذا المنطق ثار الإمام الحسين عليه السلام

١ـ سورة البقرة:الآية ١٠٩.
٢ ـ سورة الحجر:الآية٨٥.
٣ـ سورة الزخرف: الآية٨٩.
٤ـ سورة الرعد، الآية ٢٢.
٥ـ سورة فصلت، الآيتان ٣٤ـ٣٥.
٦ـ سورة البقرة، الآية ٢٣٧.
٧ـ سورة النور، الآية ٢٢.
٨ـ روضة العقلاء: ١٨٦.
٩ـ كنز العمال، للمتقي الهندي، ٣٧٤/٣.

قال الإمام الصادق عليه السلام: ثلاثة لا يزيد الله بها الرجل المسلم إلا عزاً: الصفح عمن ظلمه، والإعطاء لمن حرمه، والصلة لمن قطعه.
إحقاق الحق، للتستري، ١٢/٢٧٥

بوجه يزيد بن معاوية بعد أن رأى الدين الحنيف في خطر، فليس المحل محل عفو وصفح، وإنَّما المقام مقام جهاد ومقاومة، وردع للظالم عن ظلمه الأمَّة الإسلامية، والتحكُّم في مقدَّراتها، ونهب ثرواتها، وإذلال المسلمين واستعبادهم. يقول أمير المؤمنين عليه السلام مؤكِّداً هذا المعنى: (العفو يُفسد من اللئيم بقدر إصلاحه من الكريم)[١٠].

لذا نستطيع القول بعد هذا الكلام بأنَّ أفضل الطرق لعلاج صفة الانتقام والصعود إلى أوج العزَّة والكرامة هي فضيلة العفو والصفح، وذلك يكون بالتفكُّر السليم حول معطيات وآثار كلِّ هاتين الصفتين الأخلاقيتين، فعندما يرى الإنسان ما في العفو والصفح من البركات والمواهب والمعطيات الدنيويَّة والأخرويَّة، وكيف أنَّه يتسبَّب في زيادة مكانته وعلوِّ قدره وعزَّته في نظر الخالق والمخلوق، فهو يريح الإنسان من الكثير من المشكلات والمصاعب، فينفتح له أبواب الحياة الكريمة، ويثير المحبَّة له في قلوب الناس، في حين أنَّ الانتقام والردَّ بالمثل أحياناً يؤدِّي إلى هدم عناصر الخير في حياة الإنسان، ويعرِّض نفسه وماله وسمعته إلى الخطر، فحينئذٍ إذا قارن الإنسان بين هذه المعطيات الإيجابيَّة والسلبيَّة للطرفين فإنَّه سوف يأخذ جانب العفو قطعاً ويرجحه على جانب الانتقام، ويستمر في سلوك هذه الطريق حتى تحصل لديه ملكة أخلاقيَّة لفضيلتي العفو والصفح، ومن جهة أخرى فعندما يتأمَّل الإنسان في جذور الحالة السلبيَّة للانتقام، والدوافع النفسيَّة التي تثيرها هذه الحالة في نفسه، فإنَّه سيتحرَّك نحو علاجها والحدِّ من شرِّها، وبذلك يتسنَّى له القضاء على المعلول في القضاء على علته، فيتبدَّل الحقد والكراهية وحبُّ الانتقام إلى الأخوَّة والمحبَّة والعفو والصفح.

زرع العفو

في ختام كلامنا عن العفو والصفح نشير إشارة موجزة إلى كيفيَّة تنشئة الأبناء والأولاد وزرع العفو ومعانيه والتسامح وقيمه في نفوسهم، وذلك من خلال ما يلي:

١ـ أن يكون الأب والأمُّ مثالاً وقدوة للأبناء في ذلك من خلال تعاملهما مع الحوادث اليومية التي لها علاقة بالأبناء وبالآخرين، وذلك كي يشعروا بهذا المعنى.

٢ـ دراسة الآيات الكريمة التي تتحدَّث عن العفو وتفسيرها وتوضيح معانيها، وكذا الأحاديث الشريفة والحكم، والإكثار من القصص التاريخيَّة التي تحمل هذا المعنى، والتي توضِّح كيفيَّة العفو والتسامح.

٣ـ بيان الآثار الإيجابيَّة للعفو على النفس وما يتبعه من عظيم الثواب وإن كان مظلوماً.

٤ـ إكثار الاستماع إلى الذين يتحدَّثون عن هذا الأمر سواء العلماء أو الخطباء أو غيرهم.

٥ـ خلق حالة المنافسة بين الأبناء لأجل تعميق مثل هذا الخلق في نفوسهم، وتعويض المغصوب حقَّه عند الشعور منه بالعفو والتسامح على ما غُصب عليه؛ لأجل تشجيعه على فعل مثل هذه السجيَّة.

١٠ـ شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد المعتزلي) ٢٠: ٢٧٠.

المُقَدَّسُ الأردبيلي

صاحب كتاب
(زبدة البيان في براهين أحكام القرآن)

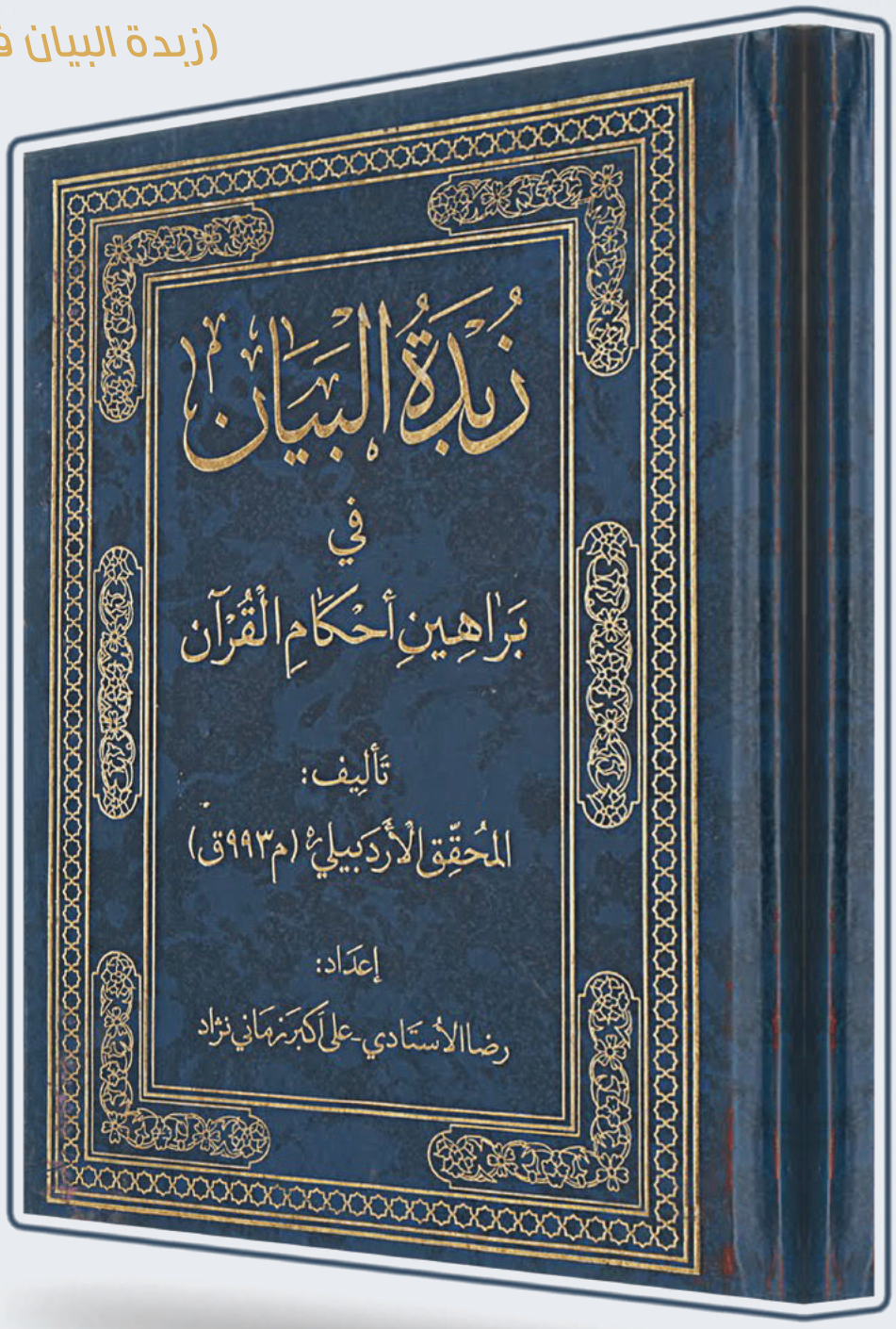

بَحر خضمٌّ،
وجبلٌ أشمٌّ،
تنهلُ من
ذكره السطور،
وتنحني لسيرته
الدُهور، رَبيبُ
العُلماء،
وجليسُ
الفقهاء

ذكر السيد الجلالي أن الحر العاملي قد وصفه بنعوت عظيمة، تدلُّ على مكانته بين علماء الطائفة، فقال فيه: (المولى الأجل الأكمل أحمد بن محمد الأردبيلي، كان عالماً، فاضلاً، مدققاً، عابداً، ثقة، ورعاً، عظيم الشأن، جليل القدر)[1].

تربّى في بيت عريق بين عطف والده وكرمه، فنهل من والده الإيمان والكفاءة، وتعلم القراءة والكتابة قبل السابعة من

١- فهرس التراث، السيد محمد حسين الحسيني الجلالي، ص٤٥٩.

عمره، فأخذ يتردد على حلقات العلماء والفقهاء، درس النحو والصرف والتفسير والفقه والأصول والمنطق عند أجل العلماء، أخذ البدايات في أربع سنوات تقريباً وهو في عمر الحادية عشر، ينسب إلى أردبيل وهي من مدن أذربيجان، فهي مدينة طيبة الماء والهواء، وتزخر بالأنهار والبساتين، متقد الذهن خصب العقل واسع الأفق، ذهب إلى مدينة العلم والمعارف الإسلامية النجف الأشرف ليكمل رحلته الدراسية، وهو ذو علمية فذة، عاكفاً على التدريس والتأليف، ولم يفتأ يرعى أمور الفقراء، أصبح قطباً مهماً من أقطاب العلوم، له مدرسة فكرية عظيمة أسسها، ولها المكانة الكبيرة في الأوساط العلمية والحوزة حتى الآن موجودة، كانت حلقة درسه حافلة بالعلماء والفقهاء الذين هاجروا إلى النجف الأشرف لتلقي المعارف ومن كل البلاد؛ وذلك لعظم مكانة الأردبيلي العلمية ولما له من الفضل البالغ والأثر الكبير في التدريس، والمسائل التي كان يثيرها فتتحول حلقات الدرس إلى مدار التفكر والنقاش، وهذا ما يستهوي طلاب العلم والانجذاب إلى حلقة درسه، لقد ظل المقدس فترة طويلة من الزمن في النجف الأشرف متواصلاً في طريق العلم والاجتهاد.

من أساتذته

١. السيد الأمير فيض الله، وهو غير السيد الأمير فيض الله التفرشي.

٢. السيد علي بن الحسين الصائغ العاملي الجزيني، كان فاضلاً عابداً فقيهاً محدثاً محققا، له كتاب (شرح الشرائع)، وكتاب (شرح الإرشاد).

٣. جمال الدين محمود الرازي، ـ وقد درس أيضاً عند المولى إلياس الأردبيلي ـ خاله ـ في مدينة أجداده، واكتسب منه علوماً متعددة كعلوم الهيئة، ومعرفة القبلة[٢].

من تلامذته

١. الشيخ حسن بن زين الدين المعروف بـ ابن الحجة، والمشهور بالشهيد الثاني بن علي بن أحمد بن محمد بن جمال الدين بن صالح العاملي.

٢. المولى حمزة من مشاهير حكماء أردبيل.

٣. السيد عباس بن محمد الموسوي البياباكاني.

٤. المولى عز الدين عبد الله بن الحسين التستري.

٥. المولى شهاب الدين عبد الله بن المولى محمود بن سعيد التستري ثم المشهدي الخراساني المقتول.

٦. المير علّام.

٧. المولى الفاضل الثقة الأمين زكي الدين عناية الله ابن شرف الدين علي ابن محمود بن شرف الدين علي القهبائي الملقب بالزكي النجفي.

٨. الأمير فضل الله الأسترآبادي ثم النجفي، كان فاضلاً عالماً جليلاً من علماء دولة السلطان طهماسب الصفوي.

٩. الميرزا محمد بن علي بن إبراهيم الأسترابادي.

١٠. السيد شمس الدين محمد بن علي بن الحسين بن أبي الحسن الموسوي العاملي[٣].

مؤلفاته

١. حديقة الشيعة: في إثبات النبوة الخاصة والعامة في مجلدين.

٢. مجمع الفائدة والبرهان في شرح (إرشاد الأذهان إلى أحكام الدين).

٣. الخراجية: في الأموال والغلات التي يأخذها السلطان الجائر.

٤. زبدة البيان في شرح آيات أحكام القرآن.

٥. عقائد الإسلام، وهو باللغة التركية وقد نسب إليه.

٦. إثبات الإمامة.

٧. ذريعة الشيعة.

٨. إثبات الواجب.

٩. استئناس المعنوية.

١٠. بحر المناقب.

١١. أصول الدين.

١٢. ربيع الأبرار في إثبات حقانية الأئمة الأطهار.

١٣. الزبدة في الفقه، كما له تعليقات ورسائل وحواشٍ في العقيدة والفقه.

توفي رحمه الله في صفر سنة ٩٩٣هـ وقد وري الثرى في النجف الأشرف ودفن بالقرب من قبر أمير المؤمنين عليه السلام[٤].

٢- مقال على النت، بعنوان المحقق أحمد الأردبيلي بيوغرافنا، ومنهج في الفكر والأخلاق، الدكتور محمد أديبي مهر www. nosos.net.

٣- المقدس الأردبيلي حياته وآثاره، السيد أبو الفضل مفتي الشيعة الموسوي، ص٩١.

٤- فهرس التراث، السيد محمد حسين الحسيني الجلالي ص٤٥٩.

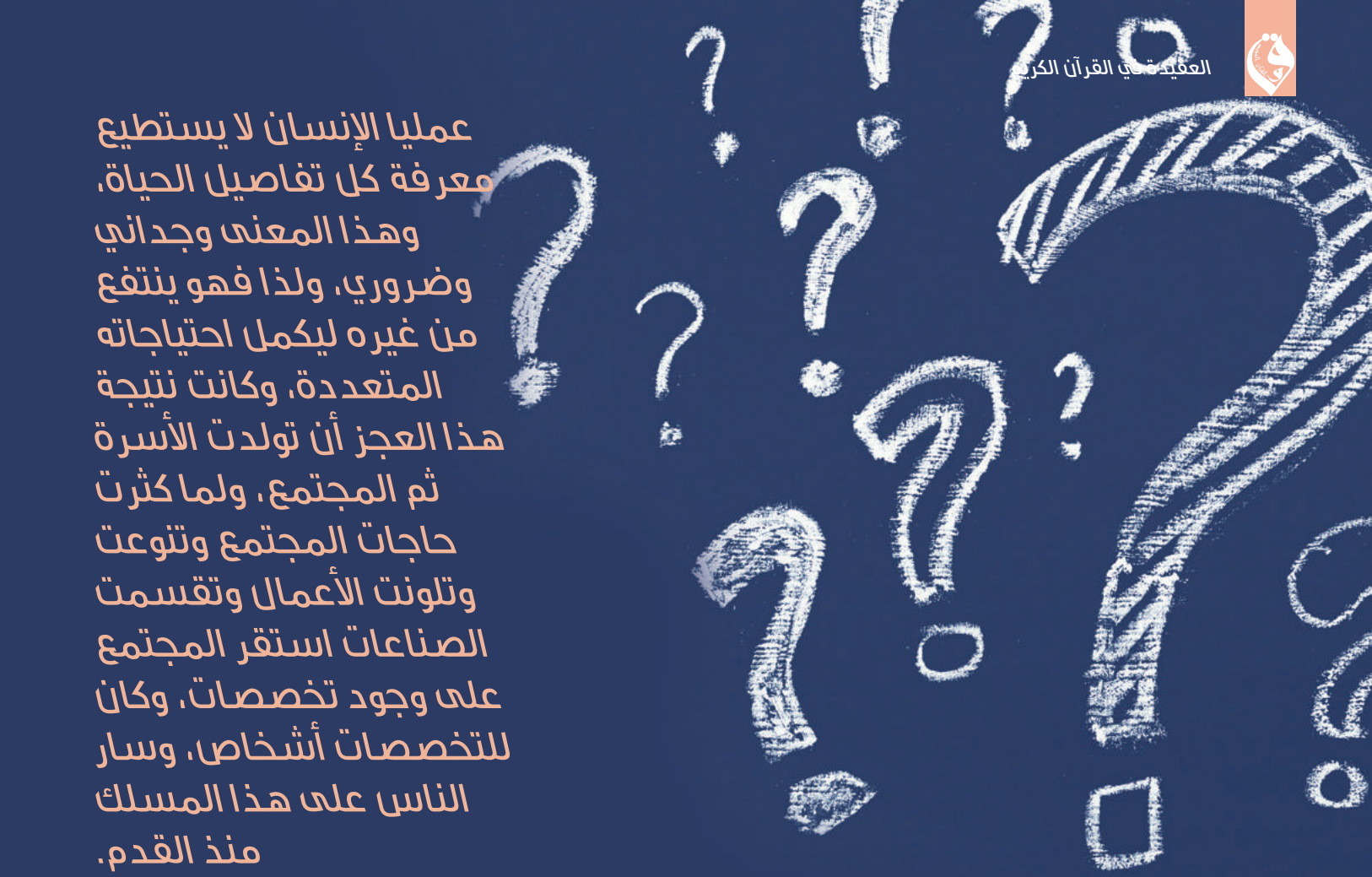

عمليا الإنسان لا يستطيع معرفة كل تفاصيل الحياة، وهذا المعنى وجداني وضروري، ولذا فهو ينتفع من غيره ليكمل احتياجاته المتعددة، وكانت نتيجة هذا العجز أن تولدت الأسرة ثم المجتمع، ولما كثرت حاجات المجتمع وتنوعت وتلونت الأعمال وتقسمت الصناعات استقر المجتمع على وجود تخصصات، وكان للتخصصات أشخاص، وسار الناس على هذا المسلك منذ القدم.

كيف السبيل والمسير ؟

-١-

الشيخ قاسم الخفاجي

والإنسان كائن عاقل يسير فطرياً إلى كماله بأفعاله الإرادية التي تتوقف على الفكر، فلا تتحقق إرادته إلا أن يسبقها فكر يكون علة لها، فالفكر هو الأساس الوحيد الذي يتوقف عليه كمال الإنسان، والدليل إننا نرى الإنسان حينما يصدر عنه فعل ما فهو يعلله إن سئل واستجوب حوله؛ لأن أفعاله متوقفة على إرادته المتوقفة على مخزونه العلمي، نعم إن الإنسان غريزيّاً يعلل ما صدر منه ويعلل ما يجده من الحوادث، فهو يهاجم ذهنه يبحث في خزينة معلوماته ليبرر فعله، أو يعطي علة وسبب الحادثة.

كيف نبدأ

وهنا يبتدر سؤال في غاية الأهمية، من أين مصدر المعلومات وهل هي يقينية أم ظنية؟ كيف أدرك صحة ما أعتقده؟ هل هي من منابع صافية لا كدر فيها؟ هل في متابعة الغير مطلقاً أم بقيود يصاب الواقع؟

القسم الأول من هذا التساؤل غير مقبول لأن الغير مختلف اختلافاً شديداً يصل إلى حد التناقض ويستحيل جمع المتناقضين على أمر واحد، نعم يمكن قبول الشق الثاني ونتابع الغير بشرط أن تترجح متابعته على الآخرين حين يمتلك مؤهلات حقيقية يقبلها العقل والمنطق السليم والفكر الحر، وفي الحقيقة إنه متابعة للدليل لا للشخص، ونطرح كل ما يخالفه جانباً مبتعدين عن رؤاه وبياناته وتوجيهاته؛ وذلك لأن المسائل الأصولية مسائل جذرية تدور بين إثبات محض ونفي محض، فمثلا إن الإلهيين يثبتون أن للعالم موجداً حكيماً أوجد العالم لغاية وهدف، والماديين بأشكالهم المختلفة ينفون ذلك، ويزعمون أن أصل وجود العالم من مادة اتفق وجود عناصر منها صدفة وأن أصل العالم من مادة غير واعية، وغير مدركة، ولا حكمة في التكوين، ولا غاية، ولا هدف، وعليه يجب على العاقل أن ينظر بما يطرحه الطرفان المتناقضان في الرؤية من أدلة أو دعاوى بعد رفع كل تأثيرات حب الشيء وكراهيته، وتخلية النفس من أية عاطفة، ويبرؤها من الميل إلى جانب، وينزهها عن النزعات النفسية ويكون نظره في الدليل لا غير.

مقدمة للمسير

جميع العقلاء اتفقوا أن المعرفة المعتبرة ما كانت معتمدة على أدوات المعرفة الحسية والعقلية، وسنأتي بأدلة من التي طرحها الإلهيون لاعتمادها على هذين المنبعين، ونترك كل دليل لا يعتمد على غير هذين المنبعين المعرفيين؛ لاختلافهم بطرق المعرفة، واتفاق الأغلب على هذين المنبعين إجمالاً.

الدليل الأول

يسمى برهان الإمكان أو الوجوب والفقر: وقد قُرر هذا البرهان بصيغ قد يكون فيها صعوبة لأول وهلة، ولكننا نحاول أن نعرضه بطريقة مبسطة فنقول: إننا موجودون وحولنا أشياء كثيرة موجودة وهي ليست خيالاً ولا وهماً، وإنما هي حقيقة واقعية، ونحن وهذه الأشياء إما أن نكون أوجدنا أنفسنا بأنفسنا، فإذا كنا بهذا الوصف (أوجدنا أنفسنا بأنفسنا) لأطلق علينا صفة (واجب الوجود)؛ لأننا مستغنون عن كل شيء ولا نحتاج إلى أي شيء آخر، مثلا نحن البشر كل واحد منا هو الذي كوّن نفسه بنفسه، أو الشجر هو الذي خلق نفسه أو هذه الحيوانات التي نعرفها أو التي لا نعرفها هي أوجدت نفسها.

أو لا، أوجدنا غيرنا لا يتصف بصفاتنا؛ لأننا لا نستطيع أن نكون موجودين إلا أن يخرجنا إلى الوجود غيرنا، وفي هذه الحالة يُطلق علينا وعلى كل مَن يحمل هذه الصفة (ممكن الوجود) أي مفتقر إلى غيره، محتاج إليه في كل شؤونه.

وهنا يرى العاقل الحر المفكر أنه كإنسان لم يكن موجوداً في زمان ما، ولا يستطيع البقاء والاستمرار في هذه الحياة، وكذلك الأشجار وحتى المعمرة منها، والحكم يجري على الحيوانات كذلك، وكل شيء مادي مهما طال الزمان به، والإنسان وهذه الأشياء كما احتاجت في أول وجودها إلى غيرها كذلك هي محتاجة في بقائها إلى غيرها.

وهذا الغير الذي يكون سببا لوجودها، إن كان يحمل نفس صفات الأشياء المادية - الإنسان، الأشجار، الحيوانات، الشمس، القمر- فهو محتاج إلى غيره يوجده، وإن كان هو من أوجد كل هذه الأشياء المادية، ولا يمكننا أن نستمر بالقول إن الشيء الكذائي علة كذا قبله، وهذه علتها كذا قبلها إلى ما لانهاية، لأنها كما قلنا تحمل نفس الوصف بالاحتياج والافتقار إلى غيرها، وعليه فلا بد من وجود علة أولية مستغنية بنفسها عن كل شيء قادرة على إيجاد هذه الموجودات السماوية والأرضية، وهذه العلة يُطلق عليها صفة واجب الوجود، وكل الأشياء الأخرى ممكن الوجود لأنها تحتاجه في كل حالاتها.

ولو رفض وأنكر هذا المعنى وجحده جاحد، وقال إن جميع هذه الأشياء المادية يحمل نفس صفة الاحتياج إلى الغير، وواحدة تخرج وتتكون من الأخرى، وتطورت وكثرت، لاصطدم بحقيقة أن جميع هذه الممكنات في زمن سابق لم تكن موجودة بل هي عدم محض، ولاستمرت معدومة غير موجودة، ولكنّا والأشياء الأخرى موجودون اليوم، فمَن الذي أخرجنا من كتم العدم على حسب تعبير الإلهيين؟ لا جواب إلا حقيقة ناصعة، أن الذي أخرج الممكنات هو موجود مستقل بذاته قادر.

برهان الإمكان في القرآن

قال تعالى شأنه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[1]، في هذه الآية رد لدعوى إلوهية عيسى عليه السلام المستلزمة استقلاله وعدم حاجته إلى غيره مع كونه بشرياً يماثل غيره من البشر، فإذا كان البشر يهلك والهالك غير مستقل باستمرار وجوده نعلم أنه غير مستقل في إيجاد ذاته ولأن حكم الأمثال فيما يجوز ولا يجوز واحد فالمسيح يهلك أيضاً، ويعم الحكم على كل مادي بل المادة أيضا هالكة تفنى.

وفي القرآن آيات كثيرة تشير إلى هذا البرهان تصريحا وتلويحا نكتفي ببعضها منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[2]، و﴿وَاللهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾[3] و﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾[4] و﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا - إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[5] و﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾[6].

١- سورة المائدة: الآية ١٧.
٢- سورة فاطر: الآية ٣٥.
٣- سورة محمد: الآية ٣٨.
٤- سورة فاطر: الآية ٣٥.
٥- سورة الإنسان: الآيتان ١-٢.
٦- سورة الحج: الآية ٥.

أضْواءٌ مِن قَناديلِ رائِيةِ الخاقانيِّ في التجويد

(ت ٣٢٥هـ)

الحلقة الثامنة

المقال منشور في موقع ملتقى أهل التفسير

(٣٤) وخَفِّفْ وثَقِّلْ واشْـدُدِ الفَكَّ عامداً ولا تُفْرِطَـنْ في فَتْحِكَ الحرفَ والكسـرِ

خفّف:

من التخفيف وهو إزالة المشـقة وتخفيف الحـرف جعله غير مشـدد أي الفظ الحرف بحركتـه بـلا سـكون قبلهـا، أو سـاكناً بلا تحريكه بعد سـكونه، فهو عكس الثقل الذي هو التشديد حتماً.

وثقّل:

عُـرف معناه بمعرفة ضده، أي أن الناظم يقـول: خفف ما يخفف وشـدد ما يشـدد بلا تجـاوز واسـتخفاف بحدهمـا وحقهمـا في قراءة الكل، فإن تخفيف اللام في (الضالّين) أو تشديدها في (العالين) أو تخفيف الياء في (إيّاك) أو تشديدها في (تعيَها)، كل ذلك لحن جليّ بلا خلاف.

* وقـد يكـون المعنـى خفـف مـا يخففه القـارئ الفلاني فـي كلمة معينـة، وثقل ما يثقلـه القارئ الآخر بنفـس الكلمة، مثل: إنْ إنَّ ، جُبُلاً جِبِلًّا وغيرها.

وقد يقصد لا تحرك ما أصله السكون من أواسـط المفردات فالتحريك خفة والسـكون ثقـل، نحو: الأُكْل والأُكُل، وقد يسـمى ضم الحـروف تثقيـلا كـ(العُمُـر والجُمُعـة) في عرف الأوائل.

والإدغام تشديد وعدمه تخفيف، فقد يحذر الناظـم هنا من الاسـتخفاف بتشـديد النون بمثلهـا بلا غنة زائدة أو إدغـام النون بالياء والواو إدغاماً ناقصاً عند من يشـدد كحمزة أو كاملا عند البقية.

واشدد الفك عامداً:

فك الحـروف: بيانها وإخراج بعضها من بعض بيسـر وتؤدة، ومن ذلـك فك الرقبة، وفـك الأسـير؛ لأنـه إخراجهما مـن الرق والأسر، وفك الكتاب استخراج ما فيه.

ورب حرفيـن منفكيـن منفصلين يدغمان بشَدة، مثل: تأمُنّا تأمنّا، أو يرتدِدْ يرتدَّ.

وأنـت تفعل ذلـك قاصداً له لا بعشـوائية مراعاة للثابت رواية ونقلا.

وقـد يكـون المعنى أشـدد أي قـوّي الفك (وهـو السـفلي طبعـاً لأن العلـوي ثابت لا يتحرك والسفلي يتمفصل معه) بتعمد وقصد أي لا تجعله رخـواً غير منضبط بل ينطبق مـع العلوي أي تصطك أسـنانه مع أسـنان الفـك العلـوي في حـروف الصفيـر مثلا، وتبتعد عنه في أخرى.

ثم يأمر الناظم بتجنب أمر تستسيغه العوام بـل وتتلذذ بفعله وهو التمطيط والإفراط في مد صوت الحركة ليتولد منها حرفها المدي وصلاً مثـل: (الحمدو للاهـي، إيّاكانعبدو) بقوله:

ولا تُفْرِطَنْ في فَتْحِكَ الحرفَ والكسرِ

ولا يُفهـم مـن اقتصاره على ذكـر الفتح والكسـر عدم شـمول الضم، فذلـك للتمثيل فقـط، علمـاً إن عجز البيت في نسـخة: ولا تفرطنْ في الفتح والضم والكسرِ.

وقـد يقصد عدم الإمعان بالفتح إلى درجة التشـبه بألف الأعاجم الشـبيهة بحرف (o) الانجليزي، وهو أداء بشـع لا تفعله العرب الفصحـاء، وبنفس الوقت يحذر من الإمعان

د. كريم جبر الزبيدي

بالكسر أي الإمالة صغراها (التقليل عند ورش) وكبراها عند من يميل، فتعطى هذه الفعاليات التجويدية حقها بلا بخس ولا إسراف وفحش، وفق ما هو معروف في تجويد القراءات المختلفة.

(٣٥) وما كانَ مهموزاً فكن هامِزاً لـه ولا تهْمِزَنْ ما كانَ يَخفَى لدى الـنَّبْر

ويستمر الناظم بوصاياه وأوامره لتلاميذه ومريديه ومستمعي نصائحه (وهي مطاعة حتماً) بواو العطف.

وأنت تعلم أخي المجود أن العرب مختلفون في أدائهم للهمز وتبِعهم القرّاء في ذلك كل حسب روايته فمنهم من يهمز ومنهم من يترك الهمز ومنهم من يسهل ومنهم من يبدل وكل ذلك يطلب من مظانه في كتب القراءات، وقد قيل (إنما الهمز رياضة).

فهنا يقول الناظم:

خذوا حذركم في أداء لفظ الهمز فالكلمة المهموزة – أينما كانت همزتها – وهمزتها صلدة فولاذية لا تقبل التسهيل أو الإبدال أو الحذف فإياك أن تستخف بتحقيق همزها، فقال: كن هامزاً .

وأكد في عجز البيت على ترك تحقيق الهمز في مواضع الإعلال، أي أنه يقول بنفس الوقت إياك أن تهمز ما حقه التسهيل أو الإبدال، وتحقق ما حقه الخفاء عند همزه ونبره.

وفي نسخة: (وَلَا تَهْمِزَنْ مَا كَانَ لَحْنًا لَدَى النَّبرِ) أي ما كان يُعدُّ لحناً لدى النبر، كلٌ على أصله وروايته، وخذ مثلا الهمزة الثانية في (أأعجمي) فهي محققة عند شعبة مسهلة أو مبدلة عند غيره.

(٣٦) وإنْ تكُ قبل اليـاءِ والواو فتحةٌ وبعدَهما هَمزٌ همزْتَ على قَدْرِ

بالطبع يقصد بالياء والياء هنا الساكنة المسبوقة بفتح أي اللينة، فاذا تبعها همز يأمرك الخاقاني هنا – حسب النص – بفعلٍ غريب وهو الهمز على قدر.

ولا أدري هل يختلف القيام بالهمز للهمزة عند مجيئها بعد ياء أو واو لينة أو أي حرف آخر؟ ساكناً كان أو محركا.

ثم هل هناك قدر زمني للهمز يُتفاوت في أدائه بين القراء؟ حيث إن الهمزة حرف شديد لا رخاوة فيه، وزمنها لحظي هو زمن انطباق الحبلين الصوتيين انطباقا تاما أي زمن غلق الحنجرة بلا تسرب هوائي مطلقا.

والأصح في نظري أنه قال (مددتَ) وصُحفت.

ومن الاستخدامات الشائعة لدى القرّاء وعلماء التجويد والقراءات (مد الحروف الصحيحة) أي اتباعها أحد حروف المد نحو (عَا ، با ، عُو بو، إي بي) وهكذا فيقال الهمزة المدودة أو الباء الممدودة، لذا سيكون معنى المد هنا:

١- ما يُمد عند ورش وذاك هو اللين المهموز الموصول، وقدره الطبيعي أو التوسط أو الإشباع.

٢- أو أنه يقصد الهمز الساكن – الموقوف عليه – المسبوق بحرف لين، والمد هنا للكل بالقصر والتوسط والاشباع.

٣- أو قدر المد أو المكث على حرف اللين الرخو زمن رخاوته، وليس بعده سكون.

(٣٧) ورَقِّقْ بيانَ الـراءِ واللاَّمِ يَنْذَرِبْ لسانُكَ حتى تنظِمَ القولَ كالدُّرِّ

جاء في (لسان العرب): (الذَّرِبُ: الحادُّ من كلِّ شيءٍ، ذَرِبَ الرَّجلُ إذا فَصُحَ لسانُه بعدَ حَصرِه)

أما الترقيق: رَقَّقَ اللَّفْظَ: لَمْ يُفَخِّمْهُ رَقَّقَ كَلامَهُ: لَطَّفَهُ، حَسَّنَهُ، زَيَّنَهُ رَقَّقَ قلبَهُ: لطَّفه وليَّنَهُ.

وبلا شك ليس المعنى رقق اللام والرّاء أي لا تفخمهما، فكلاهما قابلان للترقيق والتفخيم بشروطهما عند القرّاء، المراد هو تحسين وتلطيف بيانهما وعدم الاجحاف بحقهما.

المهم أن الشيخ رحمه الله يرى أن العناية بأداء اللام والرّاء تحقق للسان الذربة اللفظية لكي تكون قادرا على نظم قولك والفاظك كالدر بلمعانه وبريقه وجماله.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن القرّاء متفقون على ترقيق لام لفظ الجلالة إذا سبقت بلفظ كسر وتغليظها إذا لم تسبق بذلك، أما بقية اللامات فالكل متفق على ترقيقها إلا ما ورد عن ورش نافعٍ من تغليظ اللام بشروطها المعروفة عنده.

أما الرّاء فالكل متفق على ترقيقها إذا كسرت أو سكنت وسُبقت بكسر، وهم متفقون على تفخيمها محركة بغير الكسر إلا ورشاً فإنه يرققها إذا سبقت بكسر واستثنى مواضع بشروط معروفة عند أهل الفن لا مجال لذكرها في عجالة إضاءات قناديل هذه القصيدة.

ونحن نعلم أن الرّاء واللام من حروف الذلاقة يشتركان بالجهر والبينية والانفتاح والاستفال والانحراف، وتعلو الرّاء على اللام بالتكرير، ولهذا اتفق النحويون والقرّاء على إدغام اللام في الرّاء، أما إدغام الرّاء في اللام فقد أباه النحويون واتفق القرّاء عليه إلا سوسي أبي عمرو بخلف عنه.

ولست بصدد مناقشة أقوال النحويين ولا شرح مخرج وصفات الحرفين والعيوب النطقية فيهما.

وقد اختار رحمه الله مثالا للحروف التي تشترك أو تتقارب مخارجها وتتشابه صفاتها مخافة أن تلتبس ببعضها إذا تجاورت.

نماذجٌ للجدل العقيم في القرآن الكريم

ميادة قهرمان

يعد التحاور من سبل ارتقاء البشر عبر قرون كثيرة، ولكن مشروط بالحجة الدامغة والدليل الساطع، ذاك الذي يعكس رؤى وبصيرة المتبنين للحوار، وخيره ما كان لأجل إماتة جور وإظهار حق، والآية الكريمة من قوله عز وجل: ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1]، تبين أصول وآداب الحوار والجدل المثمر للمؤمنين.

حقيقة إن هناك فروقات في المعنى بين الحوار والجدل رغم أنهما مفردتان كلاميتان تستخدمان في المناظرات الكلامية، إلا أنه تم تعريفها من قبل البعض على أن: (الحوار هو كلمة غالبا ما تستعمل في المناظرة الهادئة التي يسود عليها الألفة والبحث عن الحق، والجدال غالبا ما يكون جوه صاخبا وقد ينشأ عنه خصومة وعناد)[2].

ولا خلاف أن حدود ومعالم الحوار السليم البعيد عن السطحية قد رسمه كتاب الله العزيز في العديد من الآيات القرآنية، وهو الذي حذر الناس من المجادلة والتحاور بدون وجه حق، وأظهر لنا نماذج قرآنية صريحة تبين صور لجدل وحوار الأقوام العقيم مع أنبيائها عليهم السلام، في محاولة منها لصد الأنبياء عليهم السلام عن دعوتهم الكريمة، ومنها ما جاء في نص الآية الكريمة من قوله تعالى: ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾[3]، وقد جاء في تفسير هذه الآية المباركة: (إنكم حاججتم في إبراهيم عليه السلام ولكم به علم ما، كالعلم بوجوده ونبوته، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم، وهو كونه يهوديّا أو نصرانيّا والله يعلم وأنتم لا تعلمون، أو أن المراد بالعلم علم ما بعيسى وخبره، والمعنى أنكم تحاجون في عيسى ولكم بخبره علم، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم وهو كون إبراهيم يهوديّا أو نصرانيّا، هذا ما ذكروه)[4]، وأظهر لنا الكتاب العزيز أيضاً صوراً ونماذجَ لمجادلات أخرى تبين هزالة فكر متبنيها، ومنها أنموذج قرآني يبين نظرة المشركين ورؤيتهم المتخبطة في حبال الشرك والتي بينت مدى إضمارهم الضغائن للنبي الخاتم صلى الله عليه وآله في ذاتهم الغافلة، وفي محاولة لثنيه عن منظوره السديد في القول والفعل وصده عن دعوته الإسلامية، ومنها قوله عز وجل: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾[5]، وقد جاء في تفسير هذه الآية ما حدث عنه المفسرون: (إنَّ أشراف قريش وهم خمسة وعشرون منهم الوليد بن المغيرة وهو أكبرهم وأبو جهل وأبيُّ وأميَّة ابنا خلف وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والنضر ابن الحارث أتوا أبا طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك فانَّه سفَّه أحلامنا وشتم آلهتنا، فدعى أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: يا ابن أخ، هؤلاء قومك يسألونك: فقال: ما ذا يسألونني؟ قالوا دعنا وآلهتنا ندعك وإلهك، فقال صلى الله عليه وآله: أتعطونني كلمة واحدة تملكون بها العرب والعجم، فقال أبو جهل: لله أبوك نعطيك ذلك وعشر أمثالها فقال: قولوا: لا إله إلّا الله، فقاموا وقالوا: أجعل الآلهة إلهًا واحدًا)[6]، وكما إن صفات المحاور اللاواعي تبين أنه شخص مجادل بعيد عن الصواب وجل خطابه وحواره مع الآخرين هو يصب في الباطل، وقد أظهر القرآن الكريم مدى غور شخصه في دوامة السبات والتحير التي صدته عن حقيقة وجود دار المعاد في مسيرة حياته الدنيوية، كما في قوله عز وجل: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[7]، لذا تبين إن نظرة المؤمن الواعي لدلالات الآيات القرآنية هي التي أكسبته الحكمة في حواره وجدله الذي دائماً نراه مدعوماً بحجج دامغة من طيات فكره المتيقنة بحقائق الوحدانية والإيمان بالرسالات والأنبياء والأوصياء أمثال أئمتنا الأبرار عليهم السلام.

١- سورة النحل : الآية ١٢٥.
٢- وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم: عبد العزيز ناصر، ص٦٤.
٣- سورة آل عمران : الآية ٦٦.
٤- الميزان في تفسير القرآن: السيد الطباطبائي, ٢٥١/٣.
٥- سورة ص: الآيتان ٤-٥.
٦- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ١٤٣/٩.
٧- سورة الروم : الآية ٧.

أولو الألباب

عامر عزيز الأنباري

يمتاز ابن آدم دون سواه من المخلوقات بامتلاكه العقل، تلك الشعلة المتوقدة التي تجعله واعيًا لما يدور من حوله، كما يستطيع به التفريق بين الأشياء عبر الحواس، وهو أجلُّ ما خلق الله سبحانه، فهو يُمثل أداة التفسير، ومنظومة استقبال التعاليم الإلهية، وامتلاك الإرادة على القيام بالأفعال، والسيطرة على الميول والرغبات، وعلى قدر العقل يتحدد التكليف وتقدر المسؤوليات.

لقد أولى ديننا الحنيف الأهمية القصوى للعقل البشري، وعدّه المرتكز الأول لتقدير استحقاقات المكلف من الثواب والعقاب (وإن الله خلق العقل فقال له: أقبل. فأقبل، وقال له: أدبر، فأدبر، فقال الله تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعظم منك ولا أطوع منك، بك أبدء وبك أعيد، لك الثواب، وعليك العقاب)[1]، وفي اللغة: (عَقَلَ - عقلاً البعير: ثنى وظيفه مع ذراعه فشدّهما معاً بحبلٍ هو العقال، وعقلاً الشيء فهمه وتدبره فهو عاقل)[2]، ولقد زخر الخطاب القرآني بالتذكير الدائم في الرجوع إلى العقل، فعلى سبيل المثال نجد الفعل (يعقلون) تكرر (٢٢)، وتكرر معه الخطاب القرآني (أولي الألباب) (٩) مرات، (وأولوا الألباب) (٧) مرات، فالخطاب يجزم أنّ تجاوز العقل والانقياد إلى الأهواء والشهوات إنما هو تجريدٌ للإنسان من إنسانيته، وجعله بمستوى الدّواب والبهائم فهم صمٌّ بكمٌ إزاء نصح الأنبياء والرسل لهم يقول تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾[3]، كما يصفهم بتجردهم بأنهم كالأنعام بل أكثر ضلالاً فيمكن للأنعام أن تسلك سبيل رعاتها للوصول إلى موطن عشبها وكلأها بينما يظل الكافرون وعُبَّاد الشياطين على غوايتهم دون الاهتداء إلى طريق الحق ولما يُحيهم ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[4]، ويُصعّد من لهجة الاستخفاف بهم وبآبائهم بعد إصرارهم باتباع ما وجدوا عليه آباءهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾[5]، ويُعدُّ تنصلهم من الاستماع إلى لغة العقل بأنه عمى القلوب وهو العمى الحقيقي الذي يصيب أمثال هؤلاء، وليس عمى الأبصار بقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾[6] ولا يكون هذا الاستخفاف والاستهانة بهم إلا بعد تجاهلهم آيات الله التي يحاججهم فيها بلغة العقل، ويضرب لهم فيها الأمثال، ويقص القصص فيما سلف من الأمم الغابرة، ويقدم لهم الدليل تلو الدليل على عظمته وسوابغ نعمه وآلائه على خلقه حاثاً إياهم على التدبر فيما خلق في هذا الوجود الممتليء بالأسرار والعجائب، وفي إتقانه خلق كل شيء، مؤكداً عليهم في كل مرة باتخاذ سبيل الرشاد والتعقل ومنها قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[7]، وليس الإلحاح في محاججة الكافرين والمعاندين عن حاجةٍ لهم حاشا لله فهو الغني عن عباده ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[8] فما هو إلا تحقيقٌ للعدالة الإلهية ومصداقٌ للطفه وعطفه على عباده وكما أسلفنا.

إن استحقاق العقاب والثواب لا يكون إلا بقدر ما يمتلكه المرء من عقلٍ وقدرةٍ على الفهم والاستيعاب، فعندما أرسل الله سبحانه رسله إلى الناس مبشرين ومنذرين وأمرهم أن يدعوهم لما يحييهم، ولما ينفعهم في الدارين الأولى والآخرة، ألزمهم كذلك بأن يخاطبوا الناس على قدر عقولهم، وألا يحيطوهم بما لا تستوعبه أوعية قلوبهم أو تتمكن منه أفهامهم يقول الحبيب المصطفى ﷺ: (أُمرنا معاشر الأنبياء أن نخاطب الناس على قدر عقولهم)[9] لأن لا يكون للناس على الله حجة بما تقتضيه الحكمة الإلهية بما يحل بهم من البلاء أو العذاب في الدنيا والآخرة كما في قوله سبحانه: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[10]، ومع كل هذا وذاك نجد أن الأشقياء من الناس لا يوظفون عقولهم إلا فيما يضر الناس، جاعلين نزواتهم ورغباتهم فوق كل الاعتبارات، غير آبهين بما يتسببه أو يجرُّه عنادهم من ويلاتٍ ومصائب على المجتمع وعلى أنفسهم آخر الأمر ﴿فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

إنَّ الثراء العقلي الذي امتاز به آل البيت الأطهار عليهم السلام جعل لهم الريادة والأسوة الحسنة للإنسانية أجمع، وللناس أن تنهل من فيوضاتهم، وقدراتهم العالية على كبح جماح النفس والتغلب على شهواتها، وترويضها في طاعة الله، فهذا إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام يصف لنا كيف جعل من نفسه الشريفة أنموذجاً خالداً لذلك قائلاً: (وأيم الله لأروضن نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعومًا - أي تفرح بالرغيف من شدة الحرمان - وتقنع بالملح مأدومًا، أيأكل عليٌّ من زاده فيهجع فلا قرَّت إذن عينه)[11].

١- أداة معرفة الله تعالى: العقل - توحيد الإمامة ص٢١، الشيخ محمد باقر الملكي.
٢- قاموس المنجد، لويس معلوف.
٣- سورة الأنفال،الآية ٢٢.
٤- سورة الفرقان، الآية ٤٤.
٥- سورة البقرة، الآية ١٧٠.
٦- سورة الحج، الآية ٤٦.
٧- سورة البقرة ، الآية ١٦٤.
٨- سورة إبراهيم، الآية ٨.
٩- بحار الأنوار العلامة المجلسي، ٣٨٤/٥٢.
١٠- سورة النساء، الآية ١٦٥.
١١- بعض ما قاله النبي ﷺ في حق أمير المؤمنين عليه السلام، إحقاق الحق للتستري: ٢١٢/٣٢.

نبي الله داود عليه السلام

الشيخ طه العبيدي

عبادته عليه السلام

كان عليه السلام، عبدًا شديد التذلل، والخضوع، والانقياد، والاجتهاد في طاعة الله عزوجل، قال رسول الله صلى الله عليه وآله أحب الصيام إلى الله عزوجل صيام داود عليه السلام، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، وأحب الصلاة إلى الله عزوجل صلاة داود عليه السلام، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه[١].

إن نبي الله داود عليه السلام، كان يوقظ أهله ساعة من الليل فيقول: يا آل داود قوموا فصلوا، فإن هذه الساعة يستجيب الله تعالى فيها الدعاء، إلا لساحر أو عشار[٢].

وروي أن داود عليه السلام، كان كثير البكاء خوفاً من الله، وإنه كان يقوم الليل ويصوم النهار[٣].

وكان عليه السلام يحمد الله كثيرًا، وإنه حمد الله تعالى، فأوحى الله تعالى إليه، (أتعبت الحفظة)، فكان يقول: (اللهم لك الحمد دائما مع دوامك، ولك الحمد باقياً مع بقائك، ولك الحمد خالدا مع خلودك، ولك الحمد كما ينبغي لكرم وجهك وعز جلالك، يا ذا الجلال والإكرام)[٤]، وكان عليه السلام يقول إذا أصبح: (اللهم عالم الغيب والشهادة اعصمني في هذا اليوم من شركل مصيبة نزلت من السماء، واجعلني في كل خير ينزل من السماء، يرددها ثلاث مرات، وإذا أمسى قال مثل ذلك)[٥].

وفي يوم من الأيام أن نبي الله داود عليه السلام ظن في نفسه أن أحداً لم يمدح خالقه بأفضل مما مدحه به، فأنزل الله عليه ملكاً وهو قاعد في محرابه، والبركة إلى جنبه، فقال: يا داود افهم ما تصوت به هذه الضفدعة فانصت إليها، فإذا هي تقول: سبحانك وبحمدك منتهى علمك، فقال له الملك: كيف ترى؟ فقال: والذي جعلني نبياً إني لم أمدحه بهذا[٦].

ويقال: إن داود جزأ ساعات الليل والنهار على أهله، فلم يكن ساعة إلا وإنسان من أولاده في الصلاة، فقال تعالى في سورة سبأ : (اعملوا آل داود شكرا).[٧]

خلافة نبي الله داود عليه السلام

قال تعالى في كتابه العزيز : (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ)، قال : الإمام أبو جعفر عليه السلام: إن بني إسرائيل بعد موسى عملوا بالمعاصي، وغيروا دين الله، وعتوا عن أمر ربهم، وكان فيهم نبي يأمرهم وينهاهم فلم يطيعوه، وروي أنه أرميا النبي، فسلط الله عليهم جالوت وهو من القبط، فأذلهم وقتل رجالهم وأخرجهم من ديارهم وأخذ أموالهم واستعبد نساءهم، ففزعوا إلى نبيهم وقالوا: سل الله أن يبعث لنا ملكاً نقاتل

١- سنن النسائي، النسائي، ١٩٨/٤.
٢- الآحاد والمثاني، الضحاك، ١٩٨/٣.
٣- في ظلال نهج البلاغة، محمد جواد مغنية، ٤٣٣/٢.
٤- مهج الدعوات ومنهج العبادات، السيد ابن طاووس، ص٣١١.
٥- الدعاء، الطبراني، ص١٣١.
٦- حياة الحيوان الكبرى، كمال الدين الدميري، ١١٨/٢.
٧- مستدرك سفينة البحار، الشيخ علي النمازي الشاهرودي، ٣٧٩/٣.

في سبيل الله، وكانت النبوة في بني إسرائيل في بيت، والملك والسلطان في بيت آخر، لم يجمع الله لهم النبوة والملك في بيت واحد، فمن ذلك قالوا: كما أخبر تعالى في آيات من سورة البقرة: ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾، فقال لهم نبيهم: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾، وكان كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾، ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾، فغضبوا من ذلك وقالوا: ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾، وكانت النبوة في ولد لاوي، والملك في ولد يوسف، وكان طالوت من ولد بنيامين أخي يوسف لأمه، لم يكن من بيت النبوة ولا من بيت المملكة، فقال لهم نبيهم: ﴿إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، وكان أعظمهم جسما، وكان شجاعاً قوياً، وكان أعلمهم، إلا أنه كان فقيرًا فعابوه بالفقر، فقالوا: ﴿لَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ﴾، فقال لهم نبيهم : ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ﴾، وكان التابوت الذي أنزله الله على موسى فوضعته فيه أمه وألقته في اليم، فكان في بني إسرائيل يتبركون به، فلما حضر موسى الوفاة وضع فيه الألواح ودرعه وما كان عنده من آيات النبوة وأودعه يوشع وصيه، فلم يزل التابوت بينهم حتى استخفوا به، وكان الصبيان يلعبون به في الطرقات، فلم يزل بنو إسرائيل في عز وشرف ما دام التابوت عندهم، فلما عملوا بالمعاصي واستخفوا بالتابوت رفعه الله عنهم، فلما سألوا النبي وبعث الله إليهم طالوت ملكاً يقاتل معهم رد الله عليهم التابوت، كما قال الله: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلآئِكَةُ﴾، قال: البقية: ذرية الأنبياء، وقوله: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾، فإن التابوت كان يوضع بين يدي العدو وبين المسلمين فتخرج منه ريح طيبة لها وجه كوجه الإنسان.

وعن الإمام الرضا عليه السلام: السكينة ريح من الجنة لها وجه كوجه الإنسان، فكان إذا وضع التابوت بين يدي المسلمين والكفار، فإن تقدم التابوت رجل لا يرجع حتى يقتل أو يغلب، ومن رجع عن التابوت كفر وقتله الإمام، فأوحى الله إلى نبيهم أن جالوت يقتله من يستوي عليه درع موسى عليه السلام، وهو رجل من ولد لاوي بن يعقوب عليه السلام اسمه داود ابن آسي، وكان آسي راعياً وكان له عشرة بنين أصغرهم داود عليه السلام، فلما بعث طالوت إلى بني إسرائيل وجمعهم لحرب جالوت بعث إلى آسي أن أحضر ولدك، فلما حضروا دعا واحدا واحدا من ولده فألبسه درع موسى عليه السلام منهم من طالت عليه، ومنهم من قصرت عنه، فقال لآسي: هل خلفت من ولدك أحداً؟ قال: نعم أصغرهم تركته في الغنم يرعاها، فبعث إليه ابنه فجاء به، فلما دعي أقبل ومعه مقلاع، قال: فنادته ثلاث صخرات في طريقه فقالت: يا داود خذنا، فأخذها في مخلاته، وكان شديد البطش قوياً في بدنه شجاعاً، فلما جاء إلى طالوت ألبسه درع موسى فاستوت عليه، ففصل طالوت بالجنود، وقال لهم نبيهم: يا بني إسرائيل إن الله مبتليكم بنهر في هذه المفازة، فمن شرب منه فليس من حزب الله، ومن لم يشرب منه فإنه من حزب الله إلا من اغترف غرفة بيده، فلما وردوا النهر أطلق الله لهم أن يغرف كل واحد منهم غرفة بيده: ﴿فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ﴾، فالذين شربوا منه كانوا ستين ألفاً، وهذا امتحان امتحنوا به كما قال الله[٨].

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: القليل الذين لم يشربوا ولم يغترفوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، فلما جاوزوا النهر ونظروا إلى جنود جالوت قال الذين شربوا منه: (لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده)، وقال الذين لم يشربوا: (ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين)، فجاء داود عليه السلام حتى وقف بحذاء جالوت وكان جالوت على الفيل، وعلى رأسه التاج وفي جبهته ياقوت يلمع نوره، وجنوده بين يديه، فأخذ داود عليه السلام، من تلك الأحجار حجرًا فرمى به في ميمنة جالوت فمر في الهواء ووقع عليهم فانهزموا، وأخذ حجرًا آخر فرمى به في ميسرة جالوت فوقع عليهم فانهزموا، ورمى جالوت بحجر ثالث فصك الياقوتة في جبهته ووصل إلى دماغه ووقع إلى الأرض ميتاً، وهو قوله: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾[٩].

كان جالوت رأس الجبارين وأن طالوت وعد من قتل جالوت أن يزوجه ابنته ويقاسمه الملك فقتله داود فوفى له طالوت وعظم قدر داود في بني إسرائيل حتى استقل بالمملكة)[١٠].

واجتمعت بنو إسرائيل، وقالوا: نخلع طالوت ونجعل علينا داود فإنه من آل يهوذا وهو أحق بالملك، فلما أحس طالوت بذلك وخاف على ملكه، أراد أن يغتال داود فيقتله، فأشار عليه بعض وزرائه: إنك لا تقدر على قتله إلا أن تساعدك ابنتك، فدخل طالوت على ابنته، فقال لها: يا بنية! إني أريد أمرا وأحب أن تساعديني عليه، قالت: وما ذاك؟ قال: أريد أن أقتل داود، فإنه قد فرَّق عليَّ الناس، فقالت: يا أبتِ إن داود له صولة، شديد الغضب، فلست آمن عليك إن لم تستطع قتله، أن يظفر بك فيقتلك، فإذا أنت قد لقيت الله قاتلاً لنفسك مستحلاً لداود! وعجب منك ومما أعرف من حلمك وسداد رأيك! كيف أسلمك إلى هذا الرأي القصير وهذه الحيلة الضعيفة بالتقدم إلى داود، وأنت تعلم أنه أشد أهل الأرض نفسا وأبسلهم عند الموت؟! فقال طالوت: إني لا أسمع قول مفتونة بزوج، قد منعها حبها إياه أن تقبل من أبيها وتناصحه، واعلمي أني لم أدعك إلى ما دعوتك اليه إلا وقد وطنت نفسي على قطع صهره، إما أن أقتلك، وإما أن تقتليه، قالت: فأمهلني حتى إذا وجدت فرصة أعلمتك، ثم أنها انطلقت فأخذت زقًّا، ثم ملأته خمرًا، ثم طيبته بالمسك والعنبر وأنواع الطيب، ثم أضجعت الزق على سرير داود ولحفته بلحاف داود، وأفشت إلى داود ذلك، وأدخلته المخدع، وأعلمت طالوت، وقالت: هلم إلى داود فاقتله، فجاء حتى دخل البيت ومعه السيف، ثم قالت: هو ذاك، فشأنك وشأنه، فوضع السيف على قلبه ثم اتكأ عليه حتى أنفذه، فانتضح الخمر ونفح منه ريح المسك والطيب، قال: يا داود! ما أطيبك ميتا، وكنت وأنت حي أطيب منك ميتاً، وكنت طاهرًا نقياً! وندم، فبكى وأخذ السيف فأهوى به إلى نفسه ليقتلها، فاحتضنته ابنته وقالت: يا أبت! ما لك؟ قد ظفرت بعدوك وقتلته، وأراحك الله منه، وصفا لك الملك، قال: يا بنية! قد علمت أن الحسد والغيرة حملاني على قتله وصرت من أهل النار، وإن بني إسرائيل لا يرضون بذلك، فأنا قاتل نفسي، قالت: يا أبتِ أفكان يسرك أن لم تكن قتلته؟ قال: نعم، قال: فأخرجت داود من البيت، فقالت: يا أبتِ! إنك لم تقتله، وهذا داود! عندها تاب وندم طالوت[١١]، واستقام الملك لنبي الله داود عليه السلام، وكانت مدة ملكه أربعين سنة، وملكه ما بين الشامات الى بلاد اصطخر[١٢].

٨- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ٤٤١/١٣.
٩- ينظر ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ٣١٣٢/٤.
١٠- تحفة الاحوذي، المباركفري، ١٨٤/٥.
١١- ينظر كتاب التوابين، عبد الله بن قدامة، ص٣٤.
١٢- الشامات: فلسطين، وحمص، والأردن. تاريخ خليفة بن خياط، خليفة بن خياط العصفوري، ص٢٣١.

القارئ الشيخ محمد عمران

بين الثقافة النغمية والإمكانيات الصوتية

- تجدد وإبداع -

يحيى الصحاف
أستاذ علم الصوت والنغم القرآني

لقد تنوعت وتعددت الصور الجمالية في فن تلاوة القرآن الكريم بسبب طبيعة الاختلاف الحاصل في مضمون وشكل ما يقدمه القارئ في أدائه الفني للتلاوة، وهذا الاختلاف دليل على تنوع الإبداع الذي أعطى مزيدًا من الثراء في فن تلاوة القرآن الكريم، كما هو حال الشيخ محمد عمران المولود في مدينة طهطا من محافظة سوهاج للعام (١٩٤٤م) والمتوفى (١٩٩١م)، كُف بصره بعد عام واحد من ولادته، أتم حفظ القرآن الكريم في سن العاشرة على يد الشيخ محمد عبد الرحمن المصري، ثم جوده على يد الشيخ محمود جنوط في مدينة طما، عند بلوغه أحد عشر عامًا سافر إلى القاهرة، والتحق بمعهد المكفوفين، حيث تعلم أصول القراءات وعلم النغم والمقامات وفن الإنشاد على يد الشيخ سيد موسى الكبير، ليبدأ رحلته في خدمة كتاب الله بتميز خلاق.

الأسلوب : نقد وإيضاح

إن ما قدمه الشيخ عمران من أسلوب وأداء جديد، جعله يتعرض لبعض من الانتقاد، على أنه أسلوب فيه نوع من الإسراف في عملية التنغيم والتطريب جرَّاء التنقل ما بين المقامات، وكثرة التلوين الصوتي، ومن جهة أخرى على أنه أقرب من أداء الموشحات، والابتهالات الدينية، وهذه المؤاخذات، وغيرها كانت من بعضهم، أما الآخرون، فإنهم يرون عكس ذلك تماماً باعتبارها حالة من الإبداع والتجديد، ينم عن عقلية متوقدة وفكر متجدد يتلائم ويتناغم مع وقت وزمان ذائقة المتلقي، فلو تتبعنا تلاواته بشكل دقيق وبرؤية حاذقة، لأصبحت الصورة واضحة جدًا، على أن ما قدمه الشيخ هو فن ممزوج بروح عصرية متجددة، وهذا لم يخرجه عن حدود الأدب القرآني، ولم يتعدَّ في مساره السياقات الأدائية التي تنسجم مع هيبة القرآن وآياته العظيمة، إذ لم تكن على حسابها بقدر ما كانت في خدمتها وبيان مقاصدها ومعانيها، وما هو المانع إذا كانت تلك اللمسات الأدائية الفنية من أسلوب الابتهالات في تلاوة القرآن الكريم تضيف نوعاً من الجمال والتجلي في التعبير؟ وكم نسمع في كثير من تسجيلاته أصوات الجمهور، وهم يضجون بالبكاء لشدة ما يقدمه من تعبير، وتصوير، نابع من

إحساسه، وعمق تدبره، وذلك بفضل طبيعة أسلوبه الفني وتصرفه النغمي.

تحليل صوته

يمتلك الشيخ عمران حنجرة متمرسة وصوتاً مدرباً طيعاً مرناً جميلاً مزخرفاً، فيه الفخامة والرخامة والعذوبة، ترافق ذلك الصوت نبرات من الحزن والألم والخشوع، فجعلت منه صوتاً شجياً معبراً يأسر القلوب وتهش له الأسماع، فهو من الأصوات القوية الواضحة تُسمِع البعيد وتعمل باقتدار، له من الخصائص والمؤهلات ما يجعله صوتاً فاعلاً يشكل حضوراً كبيراً ومكانة مرموقة، ينتمي صوته إلى تصنيف (الباريتون) مصحوبًا بدرامية عالية منحته الاقتدار في أدائه التعبيري المتنوع بتلويناته وصوره المختلفة.

يتمتع بمساحة صوتية كبيرة فيها اتساع يتمثل بحجم الدرجة وسعتها، ومدىً صوتياً متميزاً بعدد الدرجات ووفرتها والتي تصل إلى أكثر من (أوكتافين)، وكانت لهذه المساحة العريضة دورها الكبير في أدائه، حيث كان ماهرًا وفناناً في كيفية استثمارها والتعامل معها وكسبها لصالح أدائه، كما كان ملفتاً ومبهراً في تعاطيه مع مناطق صوته والدرجات التي تتخللها، استطاع أن يقدم استعراضاً أدائيًّا في المنطقة الواحدة من صوته، شاغلاً درجاتها بهيمنة واقتدار، معبرًا عن إدارته السليمة وحرفنته الإبداعية الكبيرة، يصوغ الجمل الفنية الرائعة في أي زاوية من زوايا صوته، ليجعل حركته الأدائية، ونشاطها، وتفاعلها، ونتاجها يتسع جميع ما في مداه الصوتي من أوطأ درجة في قراره، إلى أعلى درجة في جوابه، يرعاها بهيمنة وحكمة، وتمكن، ويسيرها برؤية الفنان الخبير بأسرار أدواته الأدائية، ومكامن قوتها وإبداعها.

منطقة القرار

من الحالات التي تفرد وتميز فيها في أدائه والتي استوقفتني كثيرًا، على خصوصية استخدامه وتوظيفه لمنطقة القرار من صوته، ورؤيته المختلفة عن غيره من القرَّاء في كيفية تعامله وتعاطيه مع هذه المنطقة، التي لم يعطها القرَّاء أهمية في أدائهم، بل الأغلب منهم يبتعدون عن الأداء فيها، ويعتبرونها منطقة لا أهمية لها سوى الاستهلال في بدء تلاواتهم، أو يحسبها البعض منهم كالجسر أو المرحلة التي يعبرون من خلالها إلى المناطق الأخرى، كما أن البعض من القرّاء يحسبها منطقة لاستراحته أثناء الأداء، سيما بعد تناوله الجوابات العالية، وإذا أراد أن يتناولها الآخرون لم يستطيعوا من تقديم نتاج أدائي سليم أو مقنع فيها، لكن الذائقة الفنية والخبرة الأدائية التي تمتع بها الشيخ عمران منحته الرؤية الصحيحة في كيفية تعامله مع صوته، فهو لا يرى فرقاً بين تقديمه الصور الإبداعية والجمالية سواء في هذه المنطقة الصوتية أو غيرها من المناطق الأخرى، وعلى هذا الأساس تجد المتعة الأدائية واللمسات الفنية والصور التعبيرية والفسحة الجمالية حاضرة لديه، فإن نتاج ما قدمه قارئنا الفنان الشيخ عمران إلى مستمعيه ومحبيه من منطقة قراره بوضوح وجلاء وتمكن فني جميل، ومن هنا أقول هل يعلم قراؤنا الأعزاء أن صناعة النتاج الأدائي في منطقة القرار هو أصعب وأندر من صناعته في المناطق الأخرى، ولماذا لم يعتمد القرَّاء هذه المنطقة الصوتية في أدائهم ويقدموا من خلالها جملاً أدائية سليمة وجميلة ومقنعة؟ والعجيب المحزن أن ذائقة البعض في وقتنا الحاضر بعيدة عن معايير الذائقة السمعية السليمة!

الابتكار

إن الشيخ عمران قارئ خلاق مبتكر، يعيش حالة من التوهج الإبداعي، حيث إنه يفكر ويؤدي في آن واحد، ويرسم لوحاته الأدائية الفنية بألوان متنوعة ومسارات متعددة، يحدد هيكليتها برؤية متجددة ويصوغ مضمونها بلمسات مبتكرة، يستحضر في أدائه جميع خبراته المتراكمة وقدراته الإبداعية، وإمكانياته الصوتية الكبيرة المعروفة بناشطها وفاعليتها، وهي تخوض صناعة النتاج الأصعب.

كانت عروضه الأدائية مزدحمة بالمهارات الفنية والبصمات الإبداعية، والصور التعبيرية النابعة من إحساسه الصادق ونبراته الشجية، يفاجئ الجمهور بمسارات مرتجلة وقفلات مبتكرة، يباغتهم بتلويناته الصوتية الكثيرة وسرعة تنقلاته ما بين درجات صوته صعودًا وهبوطًا في جملة واحدة وبانسيابية عالية، له قدرة على تنغيم الأداء وزخرفة مفرداته، يؤدي بهيمنة وارتكاز واتزان غير متكلف ولا متعسِّفٍ، إن هذا النوع من الأداء ما هو إلا سمة معروفة ومشهودة في تلاوات الشيخ عمران، وهي ترجمة واقعية لما يحمله هذا القارئ من خبرة وذوق وإمكانية وإحساس، ولهذا تجد فيها صدق التعبير ومتانة الأداء ومهارة الإبداع، كان الشيخ عمران سليم النطق، فصيح اللسان، متقناً في تطبيقه لأحكام التلاوة وتجويدها، يؤدي بهدوء وخشوع واسترسال، يحاكي بتصويره الكلام، ويستنهض معانيه القيّمة، ليوصلها إلى المتلقي بفن معبر جميل.

الأسلوب النغمي

أثار الشيخ عمران استغراب ودهشة الكثير من المختصين والمستمعين لما قدمه من إمكانيات ومهارات، ومرونة صوتية هائلة منحته القدرة العالية على التصرف في الأنغام والمقامات، والتنقل فيما بينها بانسيابية وروعة مذهلة، قد يصعب على الكثير تحقيقها وانجازها، فكانت صولاته الأدائية وجولاته النغمية ترفل بالنجاح والعطاء الفني السليم، فلم يكتفِ الشيخ عمران من تناوله المقامات الرئيسة بعد أن أشبعها أداءً بشكل جميل، وساقها بأسلوب جديد، ومسارات مختلفة، ومنحها مزيدًا من إحساسه، وابتكاراته في صياغة الجمل وتنوع القفلات، بل استخدم الكثير من الأنغام التي لم تأخذ نصيبها أو حضورها في فن تلاوة القرآن الكريم، كمقام (الكرد والأثر كرد والصبا زمزم والزنجران والبستنكار) وغيرها، وكان بارزًا في تعامله معها، ومهتمًّا في تناولها وإثبات هويتها، وترسيخها في عالم التلاوة، وكان لمقام (الكرد والأثر كرد والزنجران) وحتى مقام (النهاوند) عناية ورعاية خاصة في أدائه، من حيث الإحساس، وحسن الأسلوب، وجمال الصياغة، وعذوبة الفن، وكل ما ذكرناه يعطينا صورة واضحة ومعبرة عما يمتلكه هذا القارئ الفذ من مخزون نغمي كبير، وطواعية خصائصه، وإمكانياته الصوتية، كان مؤديًّا بارعًا وأستاذًا متمرسًا يصوغ الجمل النغمية بحرفنة عالية، ودقة متناهية، تنساب من حنجرته بسلاسة وجمال وقدرة وارتجال، وقد استطاع أن يكون منفردًا في كل ما تحتويه منظومته الأدائية، مميزًا عند المستمعين لا يتشابه في الكثير من نتاجه مع غيره.

القارئ المظلوم إعلامياً

يعتبر الشيخ عمران واحداً من القرَّاء المظلومين الذين لم يحظوا بالرعاية والعناية التي تليق بمكانتهم وأسمائهم، وقد ظلمه الإعلام كثيرًا، حتى أن الإذاعة المصرية لم تعتمده كقارئ للقرآن فيها، الابعد وفاته وقد وصلته ورقة القبول من الإذاعة بعد وفاته بثلاثة أيام، علمًا أن هذا القارئ كان محل حديث الكثير من المختصين والمهتمين بسماع التلاوات القرآنية على ما يتمتع به من قدرات فائقة وأساليب متفردة وصورة معبرة للفن الأدائي الجميل.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (أدّبوا أولادكم على ثلاثِ خِصالٍ: حُبِّ نَبيِّكم، وحُبِّ أهلِ بَيتِهِ، وقِراءةِ القُرآن)

يَسُرُّ دارُ القرآن الكريم
في العتبة الكاظمية المقدسة

أن تعلن لطلبة المرحلتين الابتدائية والمتوسطة عن بدء

الدَّوْرات الصَّيفيَّة للبَنينِ وَالبَنات

تبدأ من ٢٠١٦/٦/١ م، فعلى الراغبين بالمشاركة مراجعة الدار داخل الصحن الشريف لتسجيل أسمائهم

عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال:
(الحافظُ للقُرآن، العامِلِ بِهِ، مَعَ السَّفَرَةِ الكِرامِ البَررَة)

يَسُرُّ دار القرآن الكريم
في العتبة الكاظمية المقدسة

أن تعلن لطلبة المرحلتين الابتدائية والمتوسطة عن استمرار

دَوْرَة تَحْفيظ القُرآن الكَريم للبَنينِ وَالبَنات

فعلى الراغبين بالمشاركة مراجعة الدار داخل الصحن الشريف لتسجيل أسمائهم